

بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث (*)

أ. حسن بن فيصل بن محمد الشهري

(*) دراسة منشورة في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣

- ١٤ هـ / ١٩ - ٢٠ م)، لغيثان بن جريس، (الطبعة الرابعة) (الرياض:

مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص ص ٣٦٢ - ٣٩٣ .

ثانياً : بعض أسواق محافظة الجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث . بقلم : أ. حسن بن فيصل بن محمد الشهري ^(١) .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	تمهيد	٣٦٣
ثانياً :	أسواق الجاردة الأسبوعية	٣٦٦
	١. أهم هذه الأسواق	٣٦٦
	أ. سوق اثنين الجاردة	٣٦٦
	ب. سوق أحد خاط	٣٦٨
	ج. سوق جمعة أثرب	٣٧١
	د. سوق سبت ختبة	٣٧٤
	٢. صور من أعراف الأسواق الأسبوعية	٣٧٥
	٣. أهم السلع في الأسواق الأسبوعية	٣٧٧
ثالثاً :	أسواق الجاردة اليومية الحديثة	٣٧٩
	١. المجمعات التجارية الكبيرة	٣٧٩
	٢. مركز السلع الغذائية	٣٨٠
	٣. أسواق ومراكز الألبسة والأقمشة	٣٨١
	٤. أسواق بيع الذهب والمجوهرات	٣٨٢
	٥. أسواق يومية أخرى	٣٨٢
رابعاً :	الطرق ووسائل النقل	٣٨٣
	١. الطرق	٣٨٣

(١) حسن بن فيصل بن محمد آل عامر الشهري من مواليد قرية آل يمانى بالجاردة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة القوز بوادي العرضي وتخرج فيها عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ثم درس الثانوية في وادي بقره بتهامة بني شهر وتخرج فيها عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). ثم درس البكالوريوس في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد وحصل على الدرجة عام (١٤٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). ثم حصل على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة الملك خالد عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). كما حصل على العديد من الدورات التدريبية في مجال عمله. وحسن من الطلاب الجيدين وعلى قدر جيد من الأدب ولطف المعشر. (ابن جريس).

م	الموضوع	الصفحة
	٢. وسائل المواصلات القديمة	٣٨٥
	٣. بدايات وتطور المواصلات الحديثة	٣٨٦
خامساً :	أهم التعاملات التجارية	٣٨٧
	١. المقايضة	٣٨٧
	٢. العملات	٣٨٨
	٣. البيع بالأجل	٣٩٠
	٤. المكاييل والموازين والمقاييس	٣٩٠
سادساً :	صور من الأدوار الحضارية لأسواق المجاردة	٣٩١
	١. دور الأسواق الأسبوعية	٣٩١
	٢. دور الأسواق اليومية	٣٩٢
سابعاً :	رأي وتعليق	٣٩٣

أولاً : تمهيد :

المجاردة إحدى مناطق تهامة عسير المهمة على مر العصور وذلك لما لها من مكانة مهمة على طريق الحج للقادمين من جنوب الجزيرة العربية . حيث يمر بها الحجاج والمسافرون إذا قصدوا أرض الحجاز لأداء مناسك الحج أو العمرة ذهاباً وإياباً فيجدون فيها الراحة والطمأنينة وينعمون بخيراتها ويستمتعون بجوها الجميل خصوصاً في فصل الشتاء^(١) . وكان يغلب سابقاً على مجتمعات بلاد المجاردة والقرى التابعة لها التشكيل القبلي الذي يعتمد في تنظيمه على التسلسل الهرمي بحيث يكون المشايخ أو رؤساء القبائل على رأس ذلك الهرم ويليهم النواب ثم أفراد العشائر والقبائل الذين يشكلون قاعدة هذا الهرم^(٢) . ومنذ أن وحد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- جنوب المملكة وأصبحت المجاردة إمارة للمرة الأولى عام (١٣٦٠هـ/١٩٤٠م) كانت هذه البلاد

(١) ابن الجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى (تاريخ المستبصر)، ج ١، تحقيق : ممدوح حسن محمد. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م . ص ٣٥ و ٣٦ .

(٢) الشهري، محمد علي آل الجحيني: صور من التاريخ الحضاري في تهامة بني شهر (التكافل الاجتماعي)، ص ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ٢٤ .

تخطونحو التقدم والرقي^(١)، وظهر ذلك جلياً في عهد حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز فأنشأت بها الدوائر الحكومية العديدة التي تخدم المواطنين وتقضي حوائجهم في شتى مجالات الحياة. وها هي محافظة المجاردة اليوم تواصل مواكبة عصر النهضة والتقدم في مجالات الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والعمرائية التي تشهدها مملكتنا الحبيبة. ولأن هذا البحث يتحدث عن بعض الأسواق في محافظة المجاردة بتهامة بني شهر خلال العصر الحديث. فنذكر هنا لمحة تاريخية موجزة تشمل الموقع، والحدود، وطبيعة التضاريس، وأهم الأنشطة البشرية.

وتقع محافظة المجاردة في الشمال الغربي من منطقة عسير. ويحدها من الشمال بلاد بلقرن وشمران (العرضية الجنوبية) التابعة لمنطقة مكة المكرمة ومن الجنوب محافظة بارق بعد انفصالها إدارياً عن المجاردة، ويحدها من الغرب مركز خميس حرب التابع لمنطقة مكة المكرمة، ومركز جمعة ربيعة التابعة لمحافظة بارق، ويحدها من الشرق محافظة النماص. وإدارياً ترتبط محافظة المجاردة بإمارة منطقة عسير بطريق رئيسي طوله خمسة وثمانون ومائة كيلومتر، ويتبعها ستة مراكز إلى وقت قريب هي مركز بارق، ومركز ثلوث المنظر، ومركز عبس، ومركز ثربان، ومركز جمعة ربيعة المقاطرة، ومركز خاط. وعندما صدر الأمر الإداري من منطقة عسير بترقية مركز بارق إلى محافظة^(٢)، انفصلت عدة مراكز إدارية كانت تتبع محافظة المجاردة، منها مركز ثلوث المنظر، ومركز جمعة ربيعة. وأصبحت محافظة المجاردة تقتصر على كل من مركز خاط، ومركز عبس، ومركز ختبة، ومركز ثربان.

وتتنوع تضاريس محافظة المجاردة على الحدود المساحية القديمة من جهة إلى أخرى حيث تجد الجبال الشاهقة ومتوسطة الارتفاع مثل: جبل بركوك، وجبل ريدان، وجبل أثرب، وجبل ثربان، وجبل تهوى، وجبل ريمان وغيرها. وبها كثير من الأودية المنحدرة من تلك الجبال، مثل وادي بقرة، ووادي خاط، ووادي شري، ووادي العرضي، ووادي الضمو، ووادي الغيل. كما نجد الأراضي المنبسطة، في بعض جهات المحافظة مثل خبت آل حجري^(٣). وتتصف المجاردة بمناخها الحار صيفا المعتدل الدافئ شتاءً، وتهطل عليها الأمطار على مدار الفصول الأربعة نسبياً، ويعتدل المناخ في المرتفعات صيفا،

(١) ابن جريس، غيثان بن علي: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ط٣، أبها: (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٣٧٢.

(٢) تم صدور القرار باعتماد العمل بمحافظة بارق بقيادة محافظ بارق الأستاذ/ سلطان بن سعد السديري اعتباراً من يوم الإثنين (١٦/٣/١٤٣٤هـ. ١٧/١٢/٢٠١٢م).

(٣) العمروي، عمر غرامة: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد بارق)، ط١، جدة، دار عكاظ للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ. ص ٢٠.

وتتميز بالطقس الشتوي في فصل الشتاء خاصة في المرتفعات، بينما يميل إلى الدفء في المنخفضات^(١). ومن أهم الأنشطة البشرية فيها الزراعة، وأهم محصولاتها الدخن والسّمسم، وينتشر في وديانها أشجار الموز والليمون والأشجار العطرية في أعالي الجبال مثل الريحان والبرك، والشاي، والنعناع، وكذلك أشجار البن في أعالي جبال ريمان وبركوك ووادي الغيل وأشجار الزيتون البري وغيرها من الأشجار الأخرى التي تكتظ بها جبال هذه المنطقة، كما تزرع في أطراف المحافظة الخضروات والفواكه المحلية. وبما أن سكان المجاردة يعودون إلى الأصل القروي^(٢)، في تشكيله القبلي فهم أيضا يعملون بالرعي، ومن أشهر الحيوانات التي تربي الأغنام، والإبل، والبقر^(٣). ويعمل عدد كبير من سكان المحافظة بالتجارة حيث تعد مركزا تجاريا نشطا في منطقة عسير، والزائر لها يرى بنفسه ما وصلت إليه الأسواق الأسبوعية واليومية من تنافس كبير في عرض السلع، وتوفير ما يحتاجه السكان، حتى أصبحت تلك الأسواق مقصدا لسكان المراكز والقرى المجاورة للتسوق والترفيه عن النفس، ولقد وفرت عليهم الكثير من الوقت والجهد في الذهاب إلى أسواق المدن المتحضرة مثل مدينة أبها أو مدينة جدة^(٤)، أو غيرها من المدن التي كان يضطر الأهالي للذهاب إليها خاصة في المواسم السنوية مثل: المواسم الصيفية التي تكثر فيها مراسم حفلات الزواج، أو مراسم الأعياد الإسلامية، وكذلك مواسم بداية الأعوام الدراسية. ومع تطور المنطقة وكثرة عدد الإدارات والمرافق الحكومية اشتغل عدد كبير من أبناء المحافظة في وظائف رسمية بالمؤسسات في بلاد المجاردة وخارجها سواء في الجيش أو الأمن الداخلي، كما يحظى قطاع التعليم بنصيب وافر من هذه الوظائف حيث يشتغل عدد كبير من أبناء المحافظة في مهنة التدريس بمراحله المختلفة نتيجة لتطور التعليم المبكر في هذه المحافظة^(٥).

(١) العمروي، عمر غرامة: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (رجال الحجر)، ط١. الرياض، المطابع الأهلية للأوقست، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص ٦.

(٢) ابن جريس، غيثان علي: عسير (دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية) (١١٠٠هـ/١٤٠٠هـ/١٦٨٨م)، ط١: دار البلاد للطباعة والنشر، جدة: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). ص ٣٢: الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: الإكليل، ط٢، (بيروت، دار اليمينية للنشر والتوزيع (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٩٠.

(٣) الشهري، محمد علي آل الجحيني: الروضة الغناء في معرفة الغيناء (وادي بقره)، ط١، أبها، مطابع الجنوب (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). ص ٦٦.

(٤) هذا ما شاهدته وعاشته منذ أكثر من سبع سنوات على مدار إقامتي في محافظة المجاردة إلى وقتنا الحاضر.

(٥) أنظر بلاد بني شهر وبني عمرو، المرجع السابق، ص ٣٧٦، مقابلة شخصية مع الأستاذ علي بن سرده الشهري مدير مكتب التعليم بمحافظة المجاردة يوم الأحد (١٩/٥/١٤٢٧هـ) في مكتبه بالمحافظة.

ثانياً: أسواق المِجاردة الأسبوعية :

١- أهم هذه الأسواق :

أ- سوق اثنين المِجاردة :

١- موقعه وتقسيماته، وصور من نشاطه :

يقع هذا السوق في مصب وادي الضمو المنحدر من جنوب جبل ريمان وبعض الجبال الأخرى تحيط به وسط المحافظة حالياً على الطريق المؤدي إلى قبائل آل كميث، وآل صميد الملحاء، وآل شغيب الضمو في حدود أملاك قبائل المِجاردة،^(١) وتحده مساكن ومزارع تلك القبيلة من جميع الجهات خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، أما في الوقت الحالي فطوقته المنشآت العمرانية ما بين بيوت سكنية خاصة ومحلات تجارية. وهذا السوق أسبوعي قديم مشترك بين قبيلة المِجاردة وقبيلة آل مغلد^(٢). وتم إنشاؤه بعد ما حصلت عدة حروب بين القبائل ذات المصالح المختلفة حول مكان وزمان السوق، ثم اتفق أفراد قبيلتي المِجاردة وآل كميث بوضع السوق في مكانه الحالي، أو قريباً منه، وأصبحت إدارته وحمايته لقبيلة المِجاردة^(٣) تشاركها قبيلة آل كميث في مصالح يوم السوق فقط، واستمرت هذه المشاركة عقود عديدة حتى تم تسليمه إلى المجمع القروي في المِجاردة، الذي أصبح بلدية مستقلة في وقتنا الحاضر. وتبلغ مساحة السوق طولياً حوالي (٤٠٠) متر وعرضياً حوالي (١٥٠) متر تقريباً، وكان هذا السوق قبل تطويره مجزأ إلى عدة أماكن لا يفصل بينها أي بناية. فجزء لمسعاة الحبوب، وجزء لبيع الأقمشة والألبسة، وآخر لبيع مواد الحرث والزراعة، أو الأسلحة وغيره، ويذكر العم علي بن راجح أن المجلبة كانت مقسمة إلى عدة أقسام، قسم لبيع الأغنام، وآخر لبيع البقر، وثالث لبيع الجمال، ورابع لبيع الحمير. وبناية السوق قديماً تعتمد على الأخشاب وبناء الدكاكين المعروفة باسم (العشش)^(٤) وفي السوق مكان يقال له (المصاح) وهو موقع مرتفع تستخدمه القبيلة المسؤولة عن السوق في الدعوة إلى الاجتماع، أو تبليغ أمر من الحكومة، وتستخدمه الجهات القضائية والأمنية في

(١) زيارة ميدانية لموقع السوق، الذي يقع بجوار المدرسة التي أعمل فيها وهي متوسطة ابن حزم بسوق الإثنين بالمِجاردة .

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ / محمد بن حسن ظافر الهلالي أحد المعلمين بثانوية صقر قريش بالمِجاردة وهو أحد المهتمين بالتاريخ في (٢٦/٥/١٤٣٧هـ).

(٣) مقابلة شخصية مع أحد التجار الذين عاصروا تاريخ هذا السوق في القرن الهجري الماضي وهو العم علي بن راجح الشهري أحد أفراد قبيلة المِجاردة، ليلة الخميس الموافق (٢٢/٦/١٤٣٧هـ) في دكانه بسوق الإثنين بالمِجاردة .

(٤) مقابلة مع العم سعيد بن راجح الشهري أحد التجار في سوق الإثنين (٢٢/٦/١٤٣٧هـ) في نفس الوقت السابق .

قراءة الإفادات أثناء إقامة حد شرعي على من يستحقه . أما في الوقت الحالي فقامت بلدية المجرادة على تنظيمه، وتطويره، وتقسيمه^(١) إلى شقين، شرقي، وغربي يفصل بينهما الشارع العام، وتكثر في الشق الغربي الدكاكين المختلفة التي يباع فيها بعض الملابس، إضافة إلى بعض المطاعم والخيام التي تقدم فيها الأكلات الشعبية مثل الخمير، والشدخ، والبحيتة، وتقع مجلبة المواشي خلف هذه الدكاكين من الجهة الغربية بعد أن تم نقلها من مكانها القديم وسط السوق لانتساع المساحة، بينما يقع في الشق الشرقي من السوق مبنى حديدي (هنقر) وهو مقسم إلى عدة أقسام : قسم لبيع اللحوم الطازجة، والمطبوخة (الحنيد)، وقسم آخر لبيع التمور، وقسم ثالث لبيع الخضار والفواكه المشكلة وغيرها . ومرتادو هذا السوق قديماً يجتمعون في رحالهم ويبدأون في الوفود إليه من بعد صلاة عصر الأحد، وذلك بسبب وعورة الطرق وعدم توفر وسائل المواصلات الميسرة التي تنقل الناس من وإلى السوق حاملين معهم سلعهم المختلفة، وأمالهم المرتقبة بالعودة بالفائدة المرجوة منه، فأصحاب المواشي يسوقونها حتى تبلغ مكان المجلبة^(٢)، وأصحاب السلع الأخرى يحملونها على ظهورهم أو على بعض الدواب كالجمال والحمير حتى يتسنى لهم حجز المواقع المميزة لعرض بضائعهم المختلفة . وتبدأ مراسم التسوق من صباح يوم الإثنين وتستمر إلى ما بعد وقت العشاء . ويعتبر السوق الرئيسي لتهامة بني شهر منذ القدم لكبر مساحته وتنوع سلعه، وكونه مركزاً تجارياً مهماً فهو كذلك ملتقى ثقافي واجتماعي لمحافظة المجرادة . أما اليوم فإن هذا السوق أصبح يقام في يومين هما الأحد والإثنين، وقد شملته موجة التطوير، وأصبح الذهاب إليه نوعاً من السياحة والترويج عن النفس، إضافة إلى الهدف الأساسي من إقامته وهو الحصول على الاحتياجات المختلفة في كل أسبوع، كما أنه يعد نموذجاً من نماذج صور الترابط المجتمعي والنشاط التجاري لأبناء المجرادة في المواسم الكثيرة وبخاصة في شهر رمضان المبارك الذي ما أن يهل هلاله إلا وترى هذا السوق يعج بالمتسوقين من داخل المحافظة وخارجها^(٣) . وتتولى بعض المؤسسات الإدارية الإشراف عليه وتنظيمه مثل: الشرطة، والمرور، والدفاع المدني، والبلدية .

- (١) زيارة ميدانية لموقع السوق في يوم الإثنين (١٤٢٧/٥/٢٠هـ) والتقاط بعض الصور لفعالياته .
- (٢) هذه العادة ليست خاصة فقط بسوق اثنين المجرادة، بل هي عادة دارجة في جميع أسواق المنطقة تفرسها بعد المسافة، وصعوبة الطرق، وقلة المواصلات .
- (٣) زيارات ميدانية متكررة خلال السنوات الماضية لمقر السوق، ومن الملاحظ توافد الباعة والمتسوقين يبدأ من بعد صلاة الظهر من كل يوم وطيلة أيام شهر رمضان المبارك، ويزداد الازدحام من بعد صلاة العصر حتى قبيل وقت الإفطار .

٢. بعض الأحداث التي حدثت في السوق :

يحكي لنا كل من العم علي بن راجح وأخوه سعيد بن راجح أن رجلاً من خميس البحر أتى إلى السوق، وحصل بينه وبين أحد المتسوقين من قبيلة بلقرن خلاف وصل به إلى حد أن قتله، ثم هرب من السوق، وعندها تقدم أعيان ومشايخ قبيلة المجاردة بالالتزام لقبيلة بلقرن وإحضار القاتل مهما كلفهم الأمر أو التعويض عنه بأحد أفراد القبيلة، وافقت قبيلة بلقرن على إعطائهم مدة أربعة عشر يوماً فقط، وعندها بدأ البحث عن القاتل من عموم أبناء القبيلة الملتزمة، وقد ذهب أحد أبناء المجاردة متخفياً إلى جهة اليمن، وبعد فترة استطاع أن يصل إلى القاتل ويتعرف على منزله، ثم جاءه في هيئة رجل محتاج يريد العمل لتوفير لقمة العيش له ولأهله، فعرض عليه أن يعمل معه بالزراعة وبالفعل وافق القاتل على قبوله للعمل، واستمر معه حوالي عشرة أيام حتى أمن، وبعد أن نام القاتل في إحدى الليالي، واستغرق في النوم، قام الرجل الذي يطلبه بقطع رأسه ثم حمله معه حتى سلمه لقبيلة بلقرن، وعند ذلك تعتبر قبيلة المجاردة قد أوفت بالتزامها^(١).

ب. سوق أحد خاط :

يقع خاط في شرق محافظة المجاردة على طريق عقبة سنان^(٢)، المؤدية إلى محافظة النماص، وتسكنه عدة قبائل من بني عمرو هم: قبائل بني مد، وقبائل لجبر، بالإضافة إلى بعض من أفراد قبيلة آل صميد من بني شهر، الذين نزحوا من قريتهم الرهوة الواقعة في شمال شرق جبل تهوي. وقد اشتهرت خاط بسوقها الأسبوعي الذي أقيم من مئات السنين على قول أحد الساكنين فيها^(٣). وفي السطور التالية نذكر بعض الصور التاريخية لهذه السوق مثل:

١. نشأة السوق وتقسيماته وصور من تجارته :

نشأ هذا السوق تلبية لطلبات سكان خاط وكان مقسوماً إلى سوق الأحد الأعلى، وسوق الأحد الأسفل بين قبائل بني مد وقبائل بلجبر. فتتولى قبائل بني مد وهم عشائر من آل يثبية، وبني قيس، وآل فلعه، وآل المشايخ الإشراف على سوق الأحد الأسفل.

(١) المقابلة مع سعيد بن راجح الشهري، وأخيه علي بن راجح الشهري من أبناء قبيلة المجاردة، في سوق الإثنين ليلة الخميس (١٤٢٧/٦/٢٢هـ).

(٢) باشا، سليمان شفيق باشا: مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)، جمع وتحقيق: محمد أحمد العقيلي. النادي الأدبي، أبها، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص ٥٢، ٧٤، ٧٥، ١٨٢، ١٩٩.

(٣) زيارة ميدانية لمركز خاط ومقابلة شخصية مع حسن بن محمد العمري في محله التجاري على الشارع العام ليلة السبت الموافق (١٤٣٧/٦/١٨هـ). (حسن فيصل) لقد زرت هذا السوق عندما كان عمري (١٠ أو ١١) سنة مع عمي محمد أبو مارق، وكان في حالة متوسطة من حيث نشاطاته التجارية، وايضا كثافته السكانية. (ابن جريس).

بينما تشرف قبائل بلجبر وهم: آل الدهيسن، وآل خشيل، وآل ماشي، وآل هقيلة، والجمّال، وآل محمد على سوق الأحد الأعلى^(١). ويقع سوق الأحد الأعلى في مصب وادي قياص بمساحة تقريبية تقدر بحوال (٢٠٠م) طولاً و (٢٠٠م) عرضاً. ويحده جبل تهوي من الجهة الغربية، بينما تحده مزارع مشتركة لبني عمرو وبني شهر من الجهة الشرقية، ومن الشمال والجنوب تحده مسايل وادي قياص الذي يقع عند مصبه^(٢). أما سوق الأحد الأسفل فيحده من الشرق وادي قياص، ومن الغرب قرية العال لقبيلة آل هقيلة، ومن الشمال يحده أملاك قبيلة آل يثيبة من بني عمرو، ومن الجنوب يحده جبل حجاله وهو جبل صغير يمتد في جبل تهوي المشهور. ويقسم السوق بشكله التنظيمي إلى عدة أقسام: قسم المسعارة الذي يتم فيه بيع الحبوب، والمجلابة الذي تباع فيه المواشي بجميع أنواعها (البقر، والإبل، والمعز، والضأن). وقسم البز (القماش) الذي تعرض فيه جميع الأقمشة، والألبسة، وقسم الصنّاع وهو المكان الذي يباع فيه جميع المصنوعات الحديدية، مثل الخناجر والسيوف والبنادق، ويتم فيه فتح السلاح الأبيض من الصنّاع الموجودين في السوق^(٣).

كانت بنايات السوق متناثرة في أرجائه إلا أنه كان يخصص مكان معين لأعيان القبائل المشرفة عليه، وعادة ما تكون في موقع بارز ليتسنى لهم مراقبة حركة السوق. ونظراً لصعوبة الطرق المؤدية إلى السوق، وقلة وجودة المواصلات في السبعينيات من القرن الهجري الماضي (١٤٤هـ/٢٠م)، كان مرتادو السوق يبدأون في السير إليه من عصر ليلة السبت، ويعمل التجار وأصحاب السلع على حجز مواقع بسطاتهم داخل السوق، ويسمرون الليل قريبا منه على أصوات الطبول بمشاركة الرجال والنساء في الألعاب الشعبية المعروفة في تلك المناطق حتى وقت متأخر من الليل^(٤)، وفي صباح يوم الأحد يبدأ التجار بعرض سلعهم المختلفة، ويزدحم السوق بأعداد المتسوقين، ويستمر هذا الوضع إلى قرابة وقت العصر من اليوم نفسه. وقد اشتهرت كل قبيلة من القبائل

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الله بن أحمد بن ديدح شيخ قبيلة آل ماشي من بني عمر في مكتبته بمركز خاط ليلة الأحد (١٤٣٧/٦/٢٥هـ).

(٢) الوقوف على موقع السوق برفقة الزميل ظافر محمد خلوفة الشهري من قبيلة آل صميد في يوم الأحد (١٤٣٧/٦/١٩هـ).

(٣) إضافة من الزميل ظافر محمد خلوفة الشهري وهو من المهتمين بالتراث في يوم الأحد (١٤٣٧/٦/١٩هـ).

(٤) ذكر الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس في إحدى محاضراته أنه عندما كان طالباً بالصف الرابع الابتدائي في ثمانينيات القرن الرابع عشر الهجري نزل من النماص لسوق الأحد بصحبة أحد أقربائه وقد شاهد مشاركة النساء والرجال في الفنون الشعبية التي أقيمت قبل ليلة السوق أو قال: ليلة السوق؛ وكانت هذه العادات موجودة في تهامة بشكل عام ولا تقتصر على خاط فقط، وهذا ما أكد لي والدي يحفظه الله بانتشارها في كثير من قرى جبل أثرب وغيرها من القرى المجاورة.

الساكنة في خايط بحرفة معينة تعمل على إعدادها والمتاجرة فيها فمثلاً قبيلة آل محمد كانت مشهورة بعمل مطارح للخبز من نبات عشبي ينمو في الأودية اسمة القصبية يلف عليها الطفي من سعف النخل وأحياناً تلبسها بالجلد . بينما تعمل بعض القبائل الأخرى في المصنوعات الجلدية لاشتهارها بتربية الماشية، ومن أهم صناعاتها قرب الماء، والشكي التي تستعمل لخص اللبن واستخراج الزبدة لعمل السمن البلدي، وصنع الدلو الذي يستخرج به الماء من الآبار، كما أن قبيلة آل صميد من بني شهر كانت مشهورة بصناعة المحافر والمناشر والمكانس، كما يوجد في السوق الخياطون لنسج وخياطة الثياب سواءً للرجال أو للنساء .

٢- أسباب توقف السوق وانتقال موقعه :

بعد أن اتفقت كافة قبائل بني عمرو بجميع أفخاذها سواءً من بني مد أو بلجبر على نشأة سوق أحد خايط الأسفل وسوق الأحد الأعلى في المواقع المذكورة أنفاً، وعلى مذاهب وقواعد معلومة، واستمر السوق في نشاطه إلى سنة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م)، ثم اندثر السوق الأسفل بسبب بعض الخلافات بين أفخاذ قبائل بني مد التي كانت تشرف عليه ؛ بينما انتقل السوق الأعلى من مصب وادي قياص لكثرة جريانه من وقت إلى آخر، وتم إنشاء موقع مسفلت قريب من موقعه السابق يبعد حوالي (٢٠٠) متر تقريباً جهة الجبل من الجهة الجنوبية الغربية^(١)، لكنه بعيد جداً عن أخطار السيول، وتم التسوق فيه قرابة شهرين، ثم بدأ في الضعف حتى توقف . وبعد ذلك اضطر من اعتاد التسوق في أسواق خايط للذهاب إلى سوق اثنين المجاردة أو سوق سبت ختية أو الأسواق القريبة منها حتى سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ م)، وعندها رأى شيخ قبيلة آل ماشي الشيخ أحمد بن عبد الله بن ديدح (يرحمه الله) لزوم إحياء السوق وإعادةه إلى سابق عهده فاقترح على مشايخ وأعيان قبائل بني عمرو بنقله إلى أملاكه الخاصة والتبرع بجزء من أرضه في وسط مركز خايط اليوم من أجل إقامته، وبالفعل وافقت القبائل العمرية على ذلك الاقتراح وتم نقله إلى موقعه الحالي، وتم تغيير مواعده من يوم الأحد إلى يوم الخميس، فعادت الحياة إليه من جديد، وأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم سوق خميس ديدح^(٢) . وهذا السوق يعرف اليوم باسم (سوق خميس خايط)، وما زال الشيخ عبد الله بن أحمد بن ديدح الذي

(١) تم تصوير مواقع الأسواق القديمة والمواقع التي نقلت إليها وهذه الصورة مدرجة في ملاحق البحث الذي قدم للدكتور غيثان من أجل الحصول على الدرجة العلمية، ويوجد نسخة من هذا البحث في مكتبته العلمية، كما يوجد عندي نسخة أخرى.

(٢) الشيخ أحمد بن عبد الله بن ديدح شيخ قبيلة آل ماشي وهو من المشهورين في بني عمرو وكان له دور كبير في المطالبة بخدمة الأهالي في جميع المجالات لما له من كلمة مسموعة في جميع الدوائر الحكومية، وهو صاحب فكرة نقل السوق من مكانه القديم إلى مكانه الجديد تحت إمرته وفي جزء من أملاكه لكونه أحد وجهاء بني عمرو في تهامة .

ورث مشيخة آل ماشي من والده وقبيلته هم المسؤولون على السوق حتى الآن، ورفض ابن ديدح تسليمه للبلدية كونه يقع في الأملاك الخاصة المثبتة بالحجج والصكوك الشرعية، إلا أن البلدية تشرف عليه من حيث التنظيم والنظافة وما يدخل في اختصاصها .

ج. سوق جمعة أثرب :

يقع سوق جمعة أثرب في حدود قبيلة آل محجوبة^(١) من آل أمجسين إحدى القبائل الأثرية من بني شهر العوامر في تهامة، شرق محافظة بارق حالياً، وكان هذا السوق من أهم الأسواق الشعبية التي تتبع إدارتها محافظة المجاردة إلى وقت قريب . وتعود نشأته إلى بعض الأحداث التاريخية التي استوجبت ذلك حسب عرف وعادات القبائل، وخلاصة مقابلاتي مع عدد من كبار السن في قبيلة (آل يمانى)^(٢)، إنني حاولت أن أصل معهم إلى معرفة تاريخ هذا السوق منذ نشأته إلى وقتنا الحاضر، فوجهت لهم عدة أسئلة، من أهمها: متى تم تأسيس هذا السوق؟ ولماذا قامت قبائل أثرب بتأسيسه؟ ولماذا وقع الاختيار على أن يقام في حدود قبائل آل محجوبة؟ وما هو مذهبه؟ ومن المسؤول عن حمايته؟ ولماذا انقطع ثم أعيد بناؤه مرة أخرى في زمننا الحالي؟ فوصلت معهم إلى عدة إجابات دونتها في المحاور التالية :

١. فكرة إنشاء السوق وأسبابها :

كان تأسيس هذا السوق قبل أكثر من مائتي سنة تقريباً حسب أقوال بعض الرواة، وفكرة إنشائه تعود إلى رجل اسمه عبد الله بن جذنان من أعيان قبيلة آل يعلى، وبخاصة عندما تعرضت قبائل أثرب لبعض المضايقات والإهانات المتكررة في سوق الخميس بساحل (بارق)، حيث كان أفراد هذه القبائل يذهبون إلى ذلك السوق للحصول على ما يحتاجونه من مواد غذائية، ولباس، وغيرها من الاحتياجات، لكونه أقرب الأسواق إلى قراهم وأكثرها نشاطاً، فعندما يعرض الرجل الأثري سلعته ويقوم المشتري من قبيلة آل سباعي، إحدى قبائل بارق، والمشرفة على سوق الخميس، بسوم هذه السلعة، فإذا لم يتفقا على السعر يقوم المشتري برميها في وجه البائع والتلفظ عليه، والاجتهاد في إهانتة كون هذا السوق في بلادهم وتحت إمرتهم^(٣). وعندما ضاق آل أثرب ذرعاً بهذه

(١) فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ط٢، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ص ١٦٢ .

(٢) كانت المقابلة مع أعيان قبيلة آل يمانى من أثرب بتاريخ (٢٩/٥/١٤٢٧هـ) في إحدى المناسبات العامة، ولكنهم رفضوا ذكر أسمائهم و يرون أن في ذكر مثل هذه الأمور ونشرها قد تسبب في إحياء العصبية القبلية .

(٣) كانت العصبية القبلية مهيمنة على المجتمع في تلك الفترة، فالقبيلة القوية تعمل على فرض نفسها بالقوة على بقية القبائل المجاورة، وأدت تلك العصبية إلى كثرة الحروب وعادة الأخذ بالثأر التي كانت في الجاهلية، ولعل هذا دليل على ضعف الحكومات المركزية التي كانت تحكم شبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة التاريخية.

التصرفات أشار بن جذنان على مشايخ قبائل أثرب بإقامة سوق في ديارهم يستطيعون من خلاله الحصول على ما يحتاجونه دون الذهاب إلى الأسواق الأخرى. فأمر بالاجتماع في مكان اسمه (الفصيلا) في ديار قبيلة آل محجوبة التي كانت بقيادة شيخها محمد بن قردان^(١)، وعندما اجتمع مشايخ وأعيان قبائل أثرب حدث الاختلاف في تحديد مكان السوق، وجاء الليل ولم يصلوا إلى اتفاق، فتام المجتمعون عند قبيلة آل محجوبة لكي يستكملوا المباحثات في اليوم التالي، ويقال أن ابن جذنان استيقظ قبل طلوع الفجر ثم ذهب وحده وقام بتحديد مكانه، وعندما أسفر الصبح أخبر الناس بما حدث وأمرهم ببناء السوق في المكان المحدد ووضع له قاعدة، فما كان من بقية أعيان القبائل إلا الموافقة على هذا المكان والشروع في وضع اتفاقية تضمن سلامة السوق واستمراره .

٢- ردة فعل قبيلة آل سباعي من بارق :

لما علمت قبيلة آل سباعي من بارق بما قامت به قبائل أثرب من إنشائهم لسوق خاص بهم، أدركوا أن هذا الفعل من شأنه أن يضعف سوق الخميس الذي سبقه بزمن طويل لاسيما وأن السوق الجديد سيكون المنافس القوي في جميع ما يعرض فيه من سلع، فاجتمع أعيان القبيلة للتشاور واتخاذ الرأي تجاه هذا الأمر؛ وأهم ما خرجوا به هو الاتفاق بالوقوف صفا واحدا ضد سوق آل أثرب وتدميره، وسعوا إلى تغيير موعد سوقهم من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بهدف ضرب نشاط سوق جمعة أثرب الذي أصبح له شأن واسع، ولأن سوق الخميس أقرب للقوافل التجارية المارة من بارق فهم بهذه الخطوة يهمشون سوق الجمعة لكونه في نفس اليوم، وهو أبعد من سوق الخميس في ساحل (بارق حاليا) . فأرسلوا المنادي في التجمعات وفي الأسواق من القريحاء حتى وصل إلى ضواحي محاليل يخبرهم بأن سوق الخميس في بارق تغير مواعده وأصبح يوم الجمعة، فكانت هذه الحادثة تمثل الشرارة التي كادت أن تقوم بها الحرب بين قبائل أثرب وقبائل بارق عامة، وفي مقدمتهم قبيلة آل سباعي، فعندما علمت قبائل بني شهر من الحجاز وتهامة اجتمع عدد من الشخصيات الهامة في سوق جمعة أثرب، وقاموا باستعراض قوتهم في لون العرضة الشعبية: وأنشد الشاعر محمد بن زاهر، ويلقب بابن الشايب^(٢) على مسامع قبيلة آل سباعي خاصة وقبائل بارق عامة قصيدة على لون المسيرة يؤكد فيها إجماع قبائل أثرب على إقامة السوق وحمايته فقال:

- (١) ما زالت المشيخة إلى وقتنا الحاضر في أبناء الشخص المذكور حيث تولى ابنه عز الدين، وعندما حضرته الوفاة قبل حوالي العشر سنوات تولى المشيخة في قبيلة آل محجوبة أخيه تركي بن محمد ومازال إلى الآن .
 (٢) هذا الشاعر من فخذ آل عيسى أحد أفخاذ قبيلة آل يحمود إحدى قبائل العوامر من بني شهر تهامة والسكنة في جبل أثرب، ولا يزال أحفادهم معروفين إلى وقتنا الحالي .

البدع

الله يعمرك يا سوقنا ويرحمك يا جد بناه
سوقنا ركبه الأول على رعم كباد وشاني
قر سوق امفصيلة بين الأصحاب وام سابلة
جمعة أثرب توزت^(١) بين سبع اللحا وأشنا بها

والرد

يا من الحد ذا واسط وذا طارف يا من بنا
نحمد الله من سابق ولا حن ندور للشواني^(٢)
حن بني شهر من دهننا إلى أمحيد خذنا سابلة
لا نفتح فجرة للشمر قمنا تحاوشنا بها

ثم قام السوق وقررت قبائل أثرب مع من أيدهم من بني شهر بغزو سوق الخميس في ساحل بارق، وحرقه، فلما اجتمعت القبائل ومعها شخصيات هامة من بني شهر ولم تحضر قبيلة آل يعلى وعندما سألوا عن أخبارهم، جاء المخبر بأنهم اتجهوا لسوق آل سباعي لتنفيذ ما اتفقوا عليه، فلما علم آل سباعي بهذا الخبر لجأوا إلى جار لهم من تهامة كان قد سكن قريبا من ديارهم وطلبوا منه الذمة بينهم وبين آل أثرب فتوجه هذا التهامي فالتقى بقبيلة آل يعلى وسألهم عن نيتهم فأخبروه بما أجمعوا عليه من إحراق سوق الخميس، فألقى بوجهه ووجه قبائله عليهم وطالبهم بالعودة بعد أن ضمن لهم بإعادة سوق الخميس إلى مواعده السابق بدلا من مواعده الجديد (الجمعة)، فالتزمت القبيلة بما وعدهم به، وأرسلوا رسولهم إلى بقية الأسواق المنتشرة في المنطقة من أجل الإخبار بعودة السوق إلى مواعده القديم (الخميس). وبذلك أطفأ الله فتنة كادت أن تقوم؛ وأصبح سوق جمعة أثرب عامر بأهله وبمن يحضره من القبائل كافة، واستمرت التجارة في تزايد داخل حدوده، وزادت المعروضات من السلع المتنوعة إلى قبل أربعين سنة تقريبا، ثم ضعف السوق واندثر بسبب تنافس قبائل أثرب على مصالحه. حيث وافقت عموم القبائل في بداية تأسيسه على أن تكون المصالح كالدلالة والحظوة وغيرها مما يحدث في السوق لقبيلة آل محجوبة كون السوق في أرضها، فلما زادت هذه المصالح رأت القبائل الأخرى أن تتقاسمها فأدى هذا التنافس إلى توقف السوق حوالي ثلاثة عقود^(٣).

(١) توزت: أي امتعت .

(٢) للشواني : أي للمكاره .

(٣) المقابلة الشخصية مع الشيخ تركي بن محمد عز الدين شيخ قبيلة آل محجوبة وعددًا من كبار السن في إحدى مناسبات تكريم قبيلة آل يمانى لأبنائها المرابطين في الحد الجنوبي للدفاع عن أمن واستقرار أمن هذه البلاد في يوم الجمعة الموافق (١٧/٥/١٤٢٧هـ) باستراحة الربيع بتلوث المنظر .

ومنذ عشر سنوات تقريباً أعادوا سوق جمعة أثرب إلى سابق عهده، وذلك بسبب ما قام به الزهيري، أحد تجار قبائل بارق، من محاولة تغيير أسواقه المركزية إلى سوق شعبي يقوم مقام سوق جمعة أثرب الأسبوعي^(١)، فما كان من قبائل أثرب إلا أن رفعوا شكوى رسمية إلى الجهات الحكومية مطالبين بردع الزهيري عن القيام بمثل هذا الأمر، لما سيصاحبه من اختلاف وفتنة بين القبائل، فجاء الرد من الجهات المسؤولة بإيقافه شريطة أن يعود سوق جمعة أثرب إلى ممارسة نشاطه، فوافقت القبائل، ثم عادت الحياة إلى هذا السوق الشعبي الكبير، الذي أصبح في يومنا هذا من أنشط الأسواق الشعبية في تهامة بني شهر، فزاد عدد الزائرين له، وتوعدت السلع المعروضة التي تلبى حاجات مرتاديه من أهل المنطقة أو من خارجها^(٢).

د. سوق سبت ختبة :

يقع مركز ختبة شمال محافظة المجرادة في تهامة بني شهر التابعة لإمارة منطقة عسير، ويبعد حوالي عشرين كيلو مترا عنها، ويحتضن هذا المركز العديد من الآثار التاريخية القديمة^(٣). ومن بين هذه الصور الحضارية سوق سبت ختبة الذي يعد من الأسواق المهمة في تهامة بني شهر، ويعود تاريخ إنشائه إلى حوالي مائة وخمسين عاما تقريبا، حسب رواية الشيخ أحمد بن يحيى بن صمان الشهري الملقب (بدوي) وهو شيخ قبيلة آل مروّح من بلجدة تهامة، وقد التقيت به في مركز ختبة، ودار الحديث معه عن نشأة السوق، وحدوده، ومذهبه، وأهم القبائل التي قامت عليه، وسبب اختيار موقعه، وسبب انتقاله إلى موقعه الحالي، وأهم السلع التي كانت ومازالت تعرض فيه.

(*) موقع السوق وحدوده :

يذكر الشيخ أحمد بدوي، أن فكرة إنشاء السوق جاءت بسبب كثرة عدد السكان في قرى ختبة وتتكون من عدة قبائل أهمها : آل فارس، والقاسم المكونة من ثلاثة فروع هي: بلجدة، وبنو حسين، وبنو زهير. وهذه العشائر تعود إلى قبائل بني التيم من بني

(١) واقعة عايشتها ووقفت على بعض أحداثها كوني أحد أبناء قبيلة آل يمانى من جبل أثرب ويعتبر هذا السوق معلم تاريخي أثري للجبل وقبائله .

(٢) زيارة ميدانية قام بها الباحث لسوق الجمعة في تاريخ (١٦/٦/١٤٢٧هـ)، وهو سوق نشط، إلا أنه قصير في وقته، فهو يبدأ من بعد صلاة الفجر وذلك من أجل استعداد الناس للذهاب للمساجد لحضور خطبتي وصلاة الجمعة .

(٣) القيام بزيارة ميدانية لمركز ختبة والوقوف على موقع السوق القديم والحديث في يوم الثلاثاء الموافق (١٣/٤/١٤٢٧هـ) والمقابلة الشخصية مع الشيخ أحمد بن يحيى شيخ قبيلة آل مروّح من بلجدة وبعض أعيان ختبة .

شهر تهامة، والسوق يقع في أراضي قبيلة آل فارس ويسمى بإثنين الملحء، لإقامته في يوم الإثنين، وعندما رأَت قبائل بلجدع، وبني حسين، وبني زهير، وهي القبائل الأكثر عدداً، والأكبر مساحة في ختبة عدم جدوى هذا السوق لصغر مساحته، اجتمع أعيانها من أجل الوصول إلى اتفاق مع قبيلة آل فارس بنقل السوق إلى مكان أكبر مساحة، واتفقوا على أن يكون في مسيلة جبل ريمان من الجهة الشمالية بوادي ختبة، ولكون جبل ريمان محاداً له من الجهة الجنوبية وفيه قرى ومساكن بني حسين، ويحده من الجهة الشرقية والشمالية بلاد مشتركة لقبيلة بلجدع، أما من الجهة الغربية فيحده مزارع لقبيلة بني زهير. وبذلك أصبح موقعه متوسطاً بين القبائل الثلاث المشرفة عليه، وحددت مساحته بحوالي (١٥٠) متراً طولاً و (١٥٠) متراً عرضاً، وأطلق عليه اسم سوق القاسم كونه كان مقسوماً بين تلك القبائل الثلاث (بلجدع وبني حسين وبني زهير) ثم سمي بعد ذلك (سوق سبت ختبة) لتغيير موعده من يوم الإثنين إلى يوم السبت، وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى وقتنا الحاضر، وسلم أخيراً إلى بلدية محافظة المجاردة التي تقوم بإدارته والإشراف عليه^(١).

(* أسباب انتقال السوق :

عندما توقف السوق ثلاثين سنة، ثم أعيد بناؤه ونقله من مسيلة الوادي في موقعه القديم إلى مكانه الحالي في مثلث صيوي (مشقة) بجوار مركز ختبة من الجهة الشمالية بحوالي (٥٠٠ م) تقريباً، ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها :

- أ. انتقال الكثير من أبناء القبائل في ختبة إلى المحافظات والمدن الكبيرة بحثاً عن الخدمات الكبيرة التي توجد فيها .
- ب. كان موقع السوق القديم غير مناسب لتعرضه للسيول الجارفة الآتية من جبل ريمان شمالاً وجميع الجبال المجاورة لمركز ختبة من الشرق والشمال .
- ج. انتقال إدارة السوق من القبائل إلى بعض المؤسسات الإدارية في المحافظة وهي التي بحثت عن المكان المناسب الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة لإقامة الأسواق.

٢. صور من أعراف الأسواق الأسبوعية :

كانت أسواق المجاردة منذ نشأتها تحت حماية القبائل المشرفة عليها، وتخضع إلى اتفاقات محلية من صنع أهل البلاد، وهذه الاتفاقيات عرفت باسم (مذاهب

(١) مقابلة شخصية مع كل من الأستاذ عبد الله أحمد بن حسين الشهري وهو المشرف على السوق الجديد وقد بذل الجهد في تأسيسه بعد توقف السوق القديم لمدة زادت عن الثلاثين عاماً، وسالم بن ظافر بن قلهاص، والزميل الأستاذ جمعان بن أحمد الحسيني، في يوم الثلاثاء الموافق (١٣/٦/١٤٢٧هـ) في ختبة .

(الأسواق)^(١) والفاحص لبنود تلك المذاهب يجدها متشابهة إلى حد كبير عند عموم القبائل؛ ويرجع السبب في ذلك إلى تشابه العادات والتقاليد السائدة في بلاد تهامة، بالإضافة إلى وحدة الهدف من إنشاء تلك الأسواق، وتجنباً للتكرار جمعت بعض بنود هذه المذاهب في الأسواق السابقة مع الإشارة إلى الاختلافات الخاصة بمصالح كل سوق منها، ومن أهم بنود اتفاقيات تلك الأسواق الأسبوعية، مايلي:

أ. كل من دخل الأسواق يعتبر آمناً على نفسه وماله، ولو حصل الاعتداء عليه داخل حدودها بضرب، أو نهب، أو قتل فعلى القبائل المسؤولة عن السوق القبض على الجاني، وتسليمه لأهل وقبيلة المجني عليه من أجل الاقتصاص منه، فإن وصلت الجناية إلى حد القتل واستطاع الجاني الهرب فهي ملزمة بالبحث عنه حتى تحضره وإن تعذر عليهم ذلك فيقومون بتقديم أحد أفراد القبيلة عوضاً عنه .

ب. على القبائل المشرفة على حماية الأسواق القيام بالتحقيق في كل ما يحصل داخل حدودها من مشاكل من أي فرد أو قبيلة، وتتخذ الإجراءات اللازمة، وهي مسؤولة مسؤولية تامة بإعادة كل مال مسروق أو ضائع إلى صاحبه .

ج. كل المشاكل التي تحصل داخل أي سوق تعتبر فجرة^(٢) على أهله ولهم الحق في مطالبة المخطئ بما يترتب على ذلك من عقوبة حسب عرف القبائل، وتختلف العقوبات من مشكلة إلى أخرى .

د. فيما يخص سوق اثنين المجاردة يحق لمن يمتلك محلاً في أرض السوق تأجيرها من البائعين سواءً من داخل قبيلته أو من خارجها، وقد بدأت الأجرة بربع ريال ثم نصف ريال ثم ريال و تطورت حتى وصلت خمسة ريالات، كما أن لشايخ القبيلة الحامية حق في تأجير البسطات داخل السوق مقابل الحماية .

هـ. فيما يخص سوق الأحد يتم تغيير موقع السوق في كل شهر بين سوقي الأحد الأعلى والأحد الأسفل فيعقد السوق في الأحد الأعلى لمدة شهر، ثم الأسفل في الشهر الذي يليه وهكذا .

(١) مقابلة شخصية مع أحد أفراد قبيلتي وهو العم علي عوض آل عوض الشهري في منزله بمحافظة بارق يوم الخميس (١٤٢٧/٥/٢٤هـ) .

(٢) الفجرة في السوق تعتبر إذلالاً لأهله، وتختلف العقوبات في فجرة السوق من مشكلة لأخرى، فإذا اعتدى أحد على آخر بضربة عصا ولم يسئل فيها دم فعليه أن يذبح شاة، وإن سال الدم فعليه أن يذبح بقرة . وهذا النوع من العقوبة يسمى (النكال)، وتزيد العقوبة حسب الجرم أو الخطأ الذي يرتكب .

و - يقسم سوق الأحد الأعلى على خمس قبائل وهم: آل محمد، آل جمال، آل هقيلة، ولهم ثلاثة أرباع السوق من حيث مسؤولية الحماية وأخذ المصالح عليها، وربع لآل ماشي، ويشترك قبيلة آل خشيل مع كل القبائل السابقة في كل شيء سواء في دفع أي التزام مالي أو أخذ أي مصلحة عائدة من السوق . بينما يقسم سوق الأحد الأسفل على قبائل بني مد وهم: آل يثيبة، وبني قيس، وآل فلعه، والمشائخ ويشتركون في دفع الالتزامات أو أخذ المصالح والهبات العائدة من السوق .

ز - فيما يخص سوق جمعة أثرب فقد اتفق مشايخ وأعيان قبائل أثرب بني شهر على مكان السوق وزمانه في الفصيلة بآل محجوبة . وتكون حماية السوق بالتعاون بين أفراد جميع قبائل أثرب السبع وهي: آل يمانى، وآل محجوبة، وآل عاصم، وآل الشنيف ويطلق عليهم (قبائل آل أمحسن) وآل يحمد، وآل الوحيش، وآل يعلى، ويطلق عليهم أيضا اسم (قبائل الوطاد) . وأي اعتداء يحصل على كل من يرتاد السوق يكون المعتدي خصما لآل أثرب كافة حتى يؤخذ الحق منه حسب مذهب السوق .

ح - جميع البنود السابقة تطبق على ما يحدث داخل حدود السوق فقط . أما ما يحدث خارج السوق فيخضع لعرف القبائل وليس على القبائل الحامية للأسواق أي التزام تجاهه .

ط - ينصّب علم في مكان ما من السوق وتسمى راية السوق، وتكون قريبة من المكان الذي يتم فيه اجتماع أهل السوق للتشاور في كل ما يخصه .

ي - اتفقت قبائل بلجدع، وبني حسين، وبني زهير على تحديد موقع سبت ختبة، واجتمع مشائخ كل قبيلة من القبائل المذكورة واتفقوا على أن يقسم السوق إلى ثلاثة أثلاث حسب تقسيم تلك القبائل المذكورة أعلاه^(١) .

٣. أهم السلع في الأسواق الأسبوعية :

تتميز الأسواق الأسبوعية في المجاردة بخصوصيتها التاريخية والتراثية نظراً لما يعرض من معروضات متنوعة من الصناعات والحرف المحلية الفريدة التي يقبل عليها السياح والزوار من جميع أنحاء المملكة خاصة في موسم الشتاء، ومن أهم السلع المعروضة في هذه الأسواق الصناعات الحديدية كالأسلحة، والجنابي (مفردها

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد بن يحيى الشهري شيخ قبيلة آل مروّح، في التاريخ السابق الذكر .

جنبية)، أو السكاكين والسيوف والفؤوس والمناجل^(١)، وبعض الأواني النحاسية، وأدوات الحرث والزراعة سابقا كالسحب الذي يثبت في اللومة المصنوعة من الخشب. وبعض آلات قطع الأشجار، وبعض الآلات التي تدخل في تجهيز القهوة وحمسها، مثل المحماس والمشهف، وهي أدوات شبيهة بالمحامص الحديثة اليوم، وكذلك بعض الحلبي مثل الأقرط، والخلاخيل، والحزام الفضي، والأواني المصنوعة من الخشب مثل المذنب، والصحاف، والقده^(٢)، وأدوات الكيل كالمد وربعه، ونصفه وغيرها، وكذلك الملابس القديمة مثل اللحف والوزرة والسديرية وأفضلها المبروم، ومن الصناعات النباتية بعض الفرش والسجاد، والمظلات ومفردها (مظلة) والمراوح (الميهفة)^(٣)، ومن المأكولات الشعبية خبز البر، والخمير، واللحم سواء المطبوخ والمسمى بالحنيد، أو النبيء الذي يبيعه الجزائريون بشكل مباشر، وتعرض أيضا السلع المصنوعة من الأدوات الفخارية كالسرداب، والموايف، والجرة^(٤)، ومن أهم السلع أيضا التمور والخضار والفواكه والعسل والسمن البلدي وزيت السمسم والذرة والحبوب والأغنام^(٥). وتنقسم السلع إلى صادرات وأخرى واردات، فصادرات تلك البلاد من اللحوم غالبا ومن المنتجات النباتية كالحبوب بجميع أنواعها، الدخن والبيضاء، البجيدة، والبر، والمنتجات الحيوانية، والجلود، وغيرها، بينما وارداتها من الصناعات المتعددة سابقة الذكر التي كان التجار يقومون بجليها من مدن الحجاز أثناء عودتهم من الحج وخاصة الملاحف والثياب وبعض الألبسة والأقمشة^(٦)، وكذلك من أسواق القرى الساحلية كالقنفذة والبرك وجازان، أو الأسواق السروية الممتدة من الباحة حتى أبها^(٧).

مما لاحظناه في هذه الأسواق وجود كثير من التشابه في مواقعها وعاداتها وتقاليدها، وسلعها وهذا يعكس التقارب الاجتماعي الذي كان يعيشه السكان في ذلك الوقت والذي فرضته ظروف الحياة، فاتفق عموم القبائل المشرفة على تلك الأسواق بتحديد مكانها في مسابيل الأودية يبين لنا أهمية الأراضي الزراعية التي كانت مصدرا للعيش، فليس لدى أي قبيلة استعداد بالتفريط في أي شبر من أراضيها الزراعية، ثم أن الوادي عادة ما يكون في موقع وسط وحد فاصل بين العشائر ولا يعتبر ملكا لقبيلة دون الأخرى. كما نرى تكفل القبائل بحماية الأسواق دليل على ضعف الأمن بسبب ما

(١) فايز بن سالم العميري: الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر. ط١٩٩٧م، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) القده: وعاء خشبي يحفظ فيه الدهن في الماضي.

(٣) والمظلات والميهفة تصنع من سعف النخل حيث تجيد صنعها معظم نساء بني شهر في تهامة.

(٤) السرداب والجرة يستخدمان لحفظ المياه، بينما تستخدم الموايف لإنتاج الخبز ومنه الفطائر، والخمير وغيرها.

(٥) انظر: Sir. K. Cornwallis, Asir before World War I (Cambridge, 1976) pp. 19ff.

(٦) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٦٠م) ص ١٦٤، ١٦٥.

(٧) الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٣٧٠.

مرت به المنطقة من تعاقب مستمر لظهور دول وإمارات حاكمة بين فترة وأخرى، ووجود السلع والبضائع التقليدية التي تعتمد على الصناعات اليدوية والحرف المهنية دليل على قلة رؤوس الأموال في أيدي الناس، وانتشار الفقر في المجتمع، وتأخر وصول الصناعات الحديثة إلى المنطقة، وعندما بدأت الدولة الحديثة في عهد الملك عبد العزيز في الاهتمام بتطوير جميع الخدمات التي يحتاجها المواطنون، ثم متابعة أبناؤه الملوك الذين أتوا من بعده فتغيرت الأحوال، وانتشر الأمن، وتطورت الصناعات، وأنشئت الطرق، وأصبحت الأسواق تزخر بجميع السلع التي تلبى جميع متطلبات الحياة في جميع مدن ومحافظات المملكة، وصارت الأسواق الشعبية صورة حية تجمع بين عبق الماضي وروح الحاضر .

ثالثاً : أسواق المجاردة اليومية الحديثة :

واكبت بلاد المجاردة في تهامة بني شهر التقدم الحضاري الذي ساد جميع مدن ومحافظات المملكة العربية السعودية منذ أن تم توحيدها على يد مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إلى وقتنا الحاضر . ومن أهم الميادين الحضارية التي يظهر فيها التقدم والتطور منهجا يوميا هو المجال التجاري بمختلف مقوماته وأهدافه، ولعل الزائر للمجاردة قديما والناظر لها حديثا يلمس ما نقوله، فبعد أن كانت التجارة في هذه البلاد تقتصر على الأسواق الأسبوعية التي تقام في أيام متفاوتة في الزمان والمكان منذ أن أصبحت إمارة في عام (١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م) ^(١) . صارت اليوم عملا يمارسه معظم سكانها، فانتشرت الأسواق متعددة النشاطات في جميع أرجائها، فلا تجد شارعا يخلو من أي محل تجاري . وربما وصلت تلك المحلات التجارية في اتساعها إلى داخل الأحياء السكنية، ومن أهم تلك المراكز ما يلي :

١. المجمعات التجارية الكبيرة :

بدأ أصحاب رؤوس الأموال من أبناء قبائل المجاردة ومن المستثمرين من خارجها يهتمون ببناء المجمعات التجارية متعددة الأغراض، وذلك لما رأوا فيها من تطوير لنشاطهم التجاري وزيادة الفرص الربحية نتيجة للإقبال الشديد من الأهالي في مواكبة التطور الحضاري ومن أهم تلك المجمعات .

أ- مجمع بن سرور التجاري السكني : هذا المجمع يقع أمام مقر المحافظة القديم مقابل مركز شرطة المحافظة ويتكون من عدة محلات تجارية مختلفة ^(٢) ، ومن أهمها

(١) ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ٣٧٧ .

(٢) تم أخذ صورة لهذا المجمع وإرفاقها في ملاحق البحث الرئيسي الذي قدمناه للدكتور/ غيثان، ويوجد نسخة منه في مكتبة ابن جريس، ونسخة أخرى عند صاحب البحث .

مكتب خدمات شركة الاتصالات زين، ومركز سبلاش للأطفال، ومحلات رد تاغ وهو حديث جداً، ومحلات الريف للعطورات، ومحلات درعة للعطور، ونخبة العود، وصيدلية النهدي، إضافة إلى سوق الراية المركزي، وتعود ملكية هذا المجمع إلى رجل الأعمال المعروف الشيخ أحمد بن سرور الشهري^(١)، وأخيه جندل بن سرور المتوفى قبل أخيه بزمان طويل. ووجود مثل هذا المجمع التجاري يعطي صورة واضحة لما وصلت إليه الحركة التجارية في المجاردة .

ب. مجمع الاتصالات : يقع بين مقري بنك الراجحي القديم والحديث، وتكثر فيه المحلات الخاصة ببيع أجهزة الاتصالات وصيانتها وتعود ملكيتها لعدد من التجار المستثمرين ومن أشهرهم الدكتور عبد الله جابر الشهري^(٢)، وآل سراح، وآل أبي علامة، وأصبحت هذه المجمعات تكتظ بالمتسوقين لزيادة الطلب على الأجهزة التقنية الحديثة كالجوالات والحاسبات الآلية وغيرها .

٢- مراكز السلع الغذائية :

انتشرت العديد من مراكز السلع الغذائية في المجاردة بشكل كبير وبخاصة منذ عهد الملك فهد بن عبد العزيز، ونرى امتداد هذه المراكز على جانبي الشارع العام، ولا يقتصر وجودها داخل المحافظة الحديثة بل امتد ذلك إلى جميع المراكز التابعة لها مثل مركز خاط، ومركز ختبة، ومركز حيد عبس، ومركز ثربان، وتتفاوت هذه المراكز في أحجامها حسب موقعها وقوة نشاطها فمن البقالات الصغيرة إلى التموينات المتوسطة إلى السوبرماركات التي تمولها الشركات الكبيرة العاملة في مجال السلع الغذائية مثل سوق الراية المركزي الذي يحتل حيزاً كبيراً من مجمع بن سرور التجاري بوسط المحافظة، والذي يعد من أبرز المعالم التجارية حيث يضم بين جنباته جميع ما تحتاجه الأسرة من المواد الغذائية، مثل: أنواع العصائر، والألبان، والأجبان، واللحوم، والنشويات، والسكريات، وأنواع الدقيق المحلي والمستورد، وفيه جزء خاص بالأواني المنزلية، والمنظفات، وبعض الأجهزة الإلكترونية، وفيه مصنع للحلويات الطازجة بجميع أنواعها، وفي الدور الثاني سوق للأقمشة والملبوسات النسائية التي تحمل الماركات العالمية مثل (سمينا) ، ويعمل في هذا السوق العديد من العمالة الوافدة ما بين عارض

(١) كان الشيخ أحمد بن سرور شيخ لفخذ آل محرز من قبيلة آل شغيب وقد توفى في بداية عام (١٤٣٦هـ) ، وتم تصيب ابنه عبد الإله في يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢٢هـ) في حفل حضره جميع مشايخ وقبائل بني شهر من السراة وتهامة.

(٢) عبد الله جابر : كان مديراً لمدرسة الملك عبد العزيز في خاط، ثم أكمل دراساته العليا، وعمل في عدد من كليات التقنية في الباحة ومنطقة عسير، وكان عميداً للكلية التقنية بالنامص .

وبائع ومحاسب، وفيه عدد من الموظفين السعوديين كون السوق يخضع لنظام السعودية الذي فرضته وزارة العمل والعمال من أجل سعودة الوظائف في القطاع الخاص.

كما يوجد في المجاردة سوق لبيع المواد الغذائية بالجملة وهو: متاجر المستهلك، وتعود ملكيته لأحد التجار القدامى في المحافظة وهو مصطفى الحميدي، وهناك بعض الأسواق المنتشرة في محطات التزود بالوقود، فلا تخلو أي محطة سواء داخل المحافظة أو على الطرق المؤدية إلى جميع المراكز التابعة لها من وجود بقالات وتموينات، إضافة إلى بعض المحلات الأخرى مثل: صوالين الحلاقة، أو مغاسل الملابس أو غيرها. وهناك المطاعم التي تزخر بها المجاردة وتختلف في مجال عملها فمنها المطابخ والمطاعم الكبيرة التي تكون جاهزة لعمل جميع أنواع المناسبات الصغيرة والكبيرة ومنها مطابخ الحنيد، والمندي، والمثلوثة. وأشهر هذه المطابخ والمطاعم مطبخ الناضج وهو أحد فروع المطبخ الرئيسي الموجود في محافظة النماص، ومطبخ حضرموت، ومطبخ رهف، ومطبخ الديوانية، وهذه المطاعم منتشرة على طول الشارع العام في المحافظة، كما توجد العديد منها على الطرق الفرعية، ومن المطاعم المنتشرة أيضا البوفيهات، ومراكز الوجبات السريعة، وديوانيات القهوة العربية وغيرها.

٣. أسواق ومراكز الألبسة والأقمشة :

تعتبر مراكز بيع الملابس والأقمشة الرجالية والنسائية في المجاردة من أهم الأنشطة التجارية اليومية، وخاصة فيما يتعلق بالملابس النسائية، فقد انتشرت هذه المحلات في المحافظة والمراكز التابعة لها بشكل كبير جداً، حيث يعرض فيها كل ما يخص الألبسة المواكبة للموضات المختلفة التي تحرص النساء على متابعتها واقتنائها بشكل مستمر، وتقع هذه المحلات على امتداد الشارع العام من كلا الجانبين، ومن أشهر تلك المراكز الجزيرة مول، وأسواق المجاردة، والمجاردة مول، والتفاحة شوب، والصالة الكبرى، ومراكز جدة غير، وبيت الموضة، ومراكز التخفيضات المختلفة، ومن أهم السلع التي تعرض في هذه الأسواق الفساتين النسائية المختلفة كفساتين السهرات، وفساتين الزواج، وملابس النوم المتعددة، والأحذية، والشنط، ومستلزمات التجميل، وملابس الأطفال بنين وبنات وغيرها^(١). ونرى سيطرة العمالة اليمنية على إدارة هذه المراكز، فلا تجد محلاً يخلو من عامل يمني، ويكون العمل مع الكفيل إما بالراتب، وإما بالنسبة وهي الأكثر شيوعاً. ولهذه المراكز عدة إيجابيات وسلبيات، فمن إيجابياتها

(١) تعرض هذه السلع بشكل منتظم داخل تلك الأسواق على هيئة أقسام: قسم الملابس النسائية، وآخر للبنات، وثالث للأولاد، ورابع للمواليد، وخامس للأدوات التجميلية. وهذا التنظيم يوفر على المتسوقين الكثير من الوقت والجهد، وتذكر الأسعار على كل سلعة بشكل واضح.

توفير كل ما تحتاجه الأسرة من الألبسة بشكل مستمر، وبذلك فهي توفر على الناس مشقة السفر من مكان إلى آخر. ولكن سلبياتها من وجهة نظري أكثر من إيجابياتها ومنها على سبيل المثال ما يحصل فيها من اختلاط النساء بالرجال أثناء التسوق، وأهم من ذلك عمل المرأة داخل السوق مع العامل الأجنبي بعد أن قررت وزارة العمل السماح لها بالعمل في تلك الأسواق، وكذلك تحكم الأجنبي في طلب وعرض جميع الموضات التي تخالف الشرع وينكرها العرف في المجتمع المحافظ كالفساتين العارية أو الضيقة، أو القصيرة ووضع السعر المبالغ فيه دون رقيب ولا حسيب من الجهات الحكومية المعنية بمراقبة الأسواق، ومن الأسعار الخيالية وصول قيمة بعض الفساتين التي كانت قبل حوالي ثلاث أو أربع سنوات لا تتعدى المائة والخمسين ريالاً فأصبحت اليوم تفوق الألف ريال، ومن السلبيات أيضاً ما يحصل داخل هذه الأسواق من الوعد واللقاء غير المباح بين النساء والرجال، حيث أصبح بعض أولياء الأمور يوصلون محارمهم إلى أماكن هذه المراكز ثم يذهب إلى بعض أشغاله ولا يأتي إليهم إلا بعد وقت طويل^(١). والسؤال هنا لماذا وصل بنا الأمر إلى هذا الحال؟ أين ذهبت مسؤولية حفظ الرعية؟ هل ذهب الخوف من الله؟ كل هذه الأسئلة تحتاج إلى وقفة صادقة من كل ولي أمر للإجابة عليها. فنسأل الله أن يصلح حالنا وأن يديم علينا أمننا وإيماننا.

٤- أسواق بيع الذهب والمجوهرات :

الذهب من أهم السلع العالمية رواجاً فهو ميزان الدول في البنك المركزي وزيادة قيمته أو انخفاضها يؤثر في قوة العملة أو ضعفها، وتعتبر الدولة غنية كلما زادت حصتها من الذهب في البنك المركزي الدولي، ولذلك اهتمت به الدول تقييماً وصناعة وبيعاً، وعلى هذا المفهوم اهتم التجار العاملون في مجال شراء الذهب أو بيعه على زيادة الاستثمار سواء في السوق الداخلي أو السوق الخارجي، ولم تتخل بلاد المجاردة عن نصيبها في تجارة الذهب حيث عمل المستثمرون في هذا المجال على فتح المحلات الخاصة بهم في مجمع مثلث المجاردة، ومن أهم تلك المراكز مركز الماجد للذهب والمجوهرات، ومركز ابن عثمان، ومركز باكرمان الذي يقع بجوار مبنى المحافظة القديم على شارع بدر وسط المدينة.

٥- أسواق يومية أخرى :

هناك محلات أخرى متعددة ذات نشاطات مختلفة، مثل: محلات مواد البناء التي تشهد في وقتنا الحاضر حركة شرائية كبيرة لنشاط العمران في محافظة المجاردة

(١) هذه العادات دخيلة على المجتمع السعودي عامة، وعلى المجتمع القروي بشكل خاص مثل مجتمع سكان المجاردة، ودخلت علينا بحجة مواكبة الحضارة التي أدت بدورها إلى ابتعاد الكثير من أبناء الوطن عن التمسك بالعادات والتقاليد الحميدة التي عاشها الآباء والأجداد. (ابن جريس).

وما حولها، ومن أهم معروضاتها الحديد المسلح، وأدوات السباكة، وأدوات الكهرباء بجميع أنواعها، والمواد الإسمنتية والجبسية، ومواد السيراميك والرخام، وجميع أنواع البويات العالمية، ومن أشهر التجار العاملين في هذا النشاط رجل الأعمال أحمد بن ثالبة وإخوانه، وأبناء رجل الأعمال عبده بن علي الله^(١)، وأبناء رجل الأعمال الشيخ أحمد بن سرور وغيرهم، ومن المحلات الأخرى محلات بيع قطع غيار السيارات الأصلية، وفي المجاردة محلات بيع الأجهزة الإلكترونية المنزلية كالثلاجات، والغسالات، والتلفزيونات، والمكيفات وغيرها من السلع الأخرى، وأصبح للشركات المنتجة لهذه السلع موزعون معتمدون من أبناء المجاردة، ومن تلك الشركات هيتاشي، وسامسونج، وهاس، وجبسون، وغيرها، ومن المحلات الموجودة في أسواق المجاردة اليومية محلات بيع المفروشات، ومحلات الأثاث وعمل الديكورات المختلفة، وأسواق لجميع أنواع الخردوات وغيرها من المحلات الأخرى المتناثرة على جانبي الشارع العام في وسط المحافظة، وللأدوات المدرسية نصيب في مراكز البيع والشراء، فهناك الكثير من القرطاسيات والمكتبات وسط المدينة ومن أشهرها مكتبة الأوائل، ومكتبة التوم، ومكتبة ابن القيم، إضافة إلى بعض الأسواق التي تهتم بعمل الهدايا والدروع للمناسبات المختلفة. ولم تكن تلك المحلات قبل حوالي ثلاثين سنة توجد إلا على الطريق المتجه من مثلث المجاردة إلى حدود سوق الإثنين فقط^(٢)، واليوم أصبحت على امتداد جميع شوارع المحافظة الرئيسية والفرعية، كما امتدت نشاطاتها إلى جميع المراكز والقرى التابعة. وهذا دليل على التطور الذي وصلت إليها أسواق المجاردة في الوقت الحاضر، وحرص أهلها على مواكبة التطور في جميع المجالات.

رابعاً : الطرق ووسائل النقل :

١. الطرق :

لا يخفى على كل من عاش في منطقة تهامة بني شهر خاصة وزار مدن ومحافظة المنطقة الجنوبية على وجه العموم خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ما كانت تعانيه من صعوبة العيش لقلة الموارد وانعدام المواصلات . وعند لقاء مجموعة من كبار السن وسؤالهم عن أهم الطرق المؤدية إلى الأسواق في بلاد المجاردة قديماً

(١) (على الله) اسم مركب لأحد التجار المشهورين واسمه عبده أو عبد الله توفى وورثه عدد من أبنائه. ومن أهم نشاطاته التجارية المقاولات العامة خاصة في مجال بيع المواد العمرانية جملة وقطاعياً كالحديد والخشب والسيراميك وغيرها.

(٢) هذه الحدود كانت قائمة إلى حوالي سنة (١٤١٠هـ) تقريباً بشهادة من عاصرها ومن بينهم الزميل ظافر بن خلوفة الشهري الذي حدثني بهذا.

وحديثاً، وأهم المواصلات وكيفية تطورها ؟ كادت تكون جميع إجاباتهم متوافقة إلى حد كبير، فالجميع قالوا : لا تخلو أي جهة من جهات بلاد المجاردة من وجود طريق يؤدي إلى أقرب سوق لها، سواءً كان هذا الطريق أساساً تسلكه القوافل التجارية بشكل مستمر، أو طريقاً فرعياً يربط كل قبيلة من القبائل بالسوق . والمجاردة تقع بين جبال السراة الشرقية التي تفصلها عن محافظتي النماص، وتنومة، وبين قرى الساحل المؤدية إلى القنفذة، وبين العرضيتين التابعة لإمارة مكة المكرمة وساكنيها من قبائل بلقرن وشمران، وبين حدود محافظة محاليل عسير من الجهة الجنوبية، ونجد تعدد الطرق المؤدية إلى الأسواق، وهناك بعض العقاب مثل عقبتين ساقين^(١)، وبرمة الموصلة بين تنومة وبلاد امشهارية، ويسلكها من أراد التسوق في سوق الإثنين ببقرة من كل أسبوع أو سوق الثلاثاء بثلوث المنظر^(٢). ومن العقاب عقبة سنان وهي عقبة قديمة ذكرت في كثير من المصادر التاريخية^(٣)، وتربط بين محافظة النماص ومركز خاط، ثم محافظة المجاردة وهي من الطرق القصيرة التي يسلكها مرتادو سوق الأحد قديماً في خاط نزولاً من السراة أو صعوداً إليها، وسوق الخميس القائم حتى يومنا هذا، وسوق الإثنين قديماً وحديثاً في وسط المجاردة . كما أن هناك عقبة تربط بين مركز حيد عبس شمال محافظة المجاردة، ومحافظة النماص تسمى عقبة تلاع إضافة إلى عقبة أخرى هي عقبة بني عمرو، وهي أيضاً موازية للعقبة السابقة.

أما الطرق التي تربط المجاردة بالمحافظات المجاورة لها شمالاً وجنوباً، فهي كثيرة ومن أهمها: الطريق الذي يربط أسواق المجاردة بسوق البندر في القنفذة والذي يقطع ثريان ويمر في سوق الأحد، ماراً بقرى خميس حرب من الجهة الشمالية، ويصل إلى سوق جمعة ربيعة من الجهة الجنوبية حتى ينتهي إلى نقطة تلاقي الطرق في القنفذة كونها منفذاً بحرياً وسوقاً كبيراً تصل إليه جميع السلع والبضائع.

وهناك طرق تربط بلاد المجاردة ببلاد بلقرن وشمران من الجهة الشمالية وتلتقي جميعها مع الطريق الرئيسي الذي يربط منطقة عسير بمنطقة مكة المكرمة حالياً، وطريق آخر يربط المجاردة بمحافظة محاليل من الجهة الجنوبية وهو امتداد للطريق الأنف ذكره؛ إضافة إلى الطرق التي تربط أجزاء وأسواق المجاردة بعضها ببعض، وتلك الطرق إما محاذية لجبل كالتريق الذي يربط المجاردة ببارق ويحاذي جبلاً يقال له هتمان شرق

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد علي الأكوغ، الرياض، دار اليمامة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م)، ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٢) معرفة الباحث بهاتين العقبتين كونها أقرب الطرق التي تربط تهامة بمحافظة تنومة في السراة .

(٣) البركاتي، شرف عبد المحسن : الرحلة اليمانية . ط١، بيروت، دار الوراق ٢٠٠٧م، ص ٥٥ : ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، المرجع السابق، ص ٦٦ .

خبت آل حجري، أو تكون في بطون الأدوية أو محاذية لها لسهولة السير فيها وبخاصة في المناطق السهلية الساحلية مثل: طريق وادي جرية الذي يربط المجاردة بأرض ختبة، وطريق وادي خاط الذي يربط خاط بالمجاردة، والمجاردة بثريان ومنه إلى ساحل القنفذة، وطريق وادي الركن المنحدر من جبل أثرب والمؤدي إلى سوق جمعة أثرب وبقية أسواق بارق القديمة^(١)، ومعظم هذه الطرق تخضع للصيانة الدورية من أبناء القبائل قديماً باستخدام الآلات التقليدية كالمعاول والفؤوس والمساحي والفوانيس^(٢)، التي تساعد على الحفر وتفتت الحجارة وتسوية التربة. وعندما اتجهت الدولة لربط مناطقها الواسعة بشبكة الطرق الحديثة؛ بدأت برصف الطرق الترابية، وكان للأهالي في المجاردة دور جيد في تسوية تلك الطرق عندما وصلت أول سيارة إليها في السبعينيات من القرن الهجري الماضي ثم تطورت الطرق وزاد عددها حتى أصبحت تصل إلى كل قرية من قرى الجنوب، ومع بداية القرن الخامس عشر الهجري زاد اهتمام الدولة بتلك الطرق الترابية فحولتها إلى طرق زراعية ثم طرق معبدة حديثة كما هي عليه في وقتنا الحاضر.

٢- وسائل المواصلات القديمة :

عانى سكان بلاد المجاردة مثلما عانى معظم سكان الجزيرة العربية من قلة المواصلات إلى وقت قريب جداً، ففي الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري لم يعرف السكان وسائل مواصلات غير الدواب، كالجمال والحمير والبيغال، وبعض الخيول لأصحاب الزعامات. وكانت هذه الوسائل قليلة فلا توجد عند كثير من الناس، كما حدثني والدي وبعض كبار السن في المجاردة بأن من يملك حماراً أو حمارة قديماً يعد من أغنى الناس^(٣)، ومن المغبوطين في حالهم وأموالهم وأحياناً يلجأ إليه معارفه وأقاربه باستعارة هذه الدابة من أجل الذهاب إلى السوق، وحمل البضائع الثقيلة التي لا يستطيع أن يحملها الإنسان لبعدها المسافة، إضافة إلى طول الطريق وصعوبته. وقد يستغرق وقتاً طويلاً في الذهاب إلى السوق والإياب، ويذكر الأستاذ أحمد مصطفى الشهري من قبيلة المجاردة^(٤)، وهو ممن عاصر جزءاً من هذه المعاناة، أن الذهاب من

(١) هذا الطريق على الرغم من صعوبته تسير معه الدواب محملة بالبضائع من الأسواق المنتشرة في المنطقة، ويصل إلى قرية المزرع لقبيلة آل يمانى جنوب شرق جبل أثرب، وبقية القبائل التي تسكن قرية سد عامر أو وادي بقره يسلكونه إذا أرادوا الذهاب إلى أسواق بارق أو المجاردة كونه أقرب الطرق إليهم.

(٢) الفوانيس: جمع فانوس وهي قطعة حديدية تشبه المطرقة ولكنها أكبر منها حجماً وأثقل وزناً؛ وأما المسحاة فهي ما يسميها البعض بالجاروف وتختلف التسميات من مكان لآخر.

(٣) يذكر لي الوالد أنه بنفسه استعار أحد هذه الحمير من أحد أفراد الجماعة فأعطاه على مضض لخوفه عليه وذلك من أجل جلب بعض الحبوب من تنومة ويطلق على الحمارة أنثى الحمار (الزاملة). (والإبل والبيغال تسمى كذلك ما دامت تحمل على ظهرها حمولة. للمزيد انظر: لسان العرب، لابن منظور.

(٤) مقابلة شخصية في مكتب الأستاذ أحمد مصطفى الشهري بمكتب تعليم المجاردة يوم الثلاثاء (٢٠/٦/١٤٢٦هـ) وكان مندوباً لندوبية البنات في المجاردة في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

المجاردة إلى محایل كان يستغرق يوماً كاملاً على مرحلتين أو (شدتين) باللهجة المحلية. حيث يخرج من أراد الذهاب في الصباح الباكر، ويسير حتى يحل عليه الظهر في مكان يسمى العيرية جنوب يارق، ثم يمكث لإراحة الدواب وتناول الغداء، ثم يواصل السير ولا يصل إلى محایل إلا ليلاً . وتستغرق المدة في الذهاب إلى القنفذة ثلاث مراحل (شذات) بالجمال^(١)، ولا يسير التاجر إلا في قافلة كبيرة خوفاً من مخاطر الطرق المتعددة . وكلما زادت مسافة الطريق كثرت مخاطرها . ولم تدخل وسائل المواصلات الحديثة إلى أسواق المجاردة وما جاورها إلا في الثمانينيات من القرن الهجري الماضي تقريبا، عندما أتت أول سيارة إلى سوق اثنين المجاردة قادمة من جدة عن طريق شمران، واستغرقت في وصولها شهرا كاملا وفي مسافة تقدر اليوم بحوالي ستين كيلو متر، وذلك لصعوبة الطريق .

٣. بدايات وتطور المواصلات الحديثة .

كانت أول سيارة جاءت إلى المجاردة في بداية السبعينيات قادمة من جدة عن طرق شمران وقد استغرقت في الوصول شهرا كاملاً^(٢) . وسعى الأهالي إلى تسهيل الطرق بالمعاول والفؤوس حتى وصلت تلك السيارة إلى سوق الإثنين، وكان يطلق عليها أبوشنب، ثم واصلت سيرها إلى محایل عسير، وكلما وصل خبر وصولها إلى مكان ما يهرع سكانه إلى تسهيل الطريق لها . وجاء بعد ذلك أنواع أخرى من السيارات مثل: اللواري، والفور باي فور، ثم سيارات الفورد ففورت طنين^(٣)، وجاء بعد ذلك المرسيديس الألمانية ثم أخذت هذه المواصلات في التطور إلى أن وصلت إلى ما نحن عليه في هذا الزمان . وذكرك لي العم علي عوض الشهري، أنه عندما كان صغيراً وسمع بأن السيارة وصلت إلى سوق ربوع العجمة بيارق^(٤)، طلب من والدته مرافقتها إلى السوق في أحد الأيام من أجل أن يرى هذه السيارة، وعندما وصل السوق فوجيء بأن السيارة لم تأت بعد في ذلك اليوم فحزن، ولكن ما كادوا يهيمون بالعودة من السوق إلا وسمعوا أصوات وهتافات الناس التي تعلن عن قدوم السيارة من جهة المجاردة، وما هي إلا لحظات حتى وقفت في السوق، وهي عبارة عن كومة حديد مكونة من غمارة وصندوقها من الخشب، وفيها رجلان السائق، ومساعدته، وعندما النف الناس حولها، رأيت العجب في وجوههم، وكأنه حدث لم يسبقه حدث في تاريخ السوق . ثم ما لبثت هذه السيارة أن أنزلت حمولتها وواصلت مشوارها إلى محایل عسير . وكان وجود السيارة أمراً غير عادي

(١) المقصود بالشدّة في هذا الموضع السير بدون انقطاع من طلوع الشمس حتى منتصف النهار.

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي بن عبد الرحمن سرده مدير مكتب التعليم بمحافظة المجاردة : انظر أيضاً كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو، لابن جريس، ص. ٢٨٨ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ / أحمد مصطفى، سبق ذكرها .

(٤) هو سوق شعبي تاريخي يقام في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وفيه قلعة يذكر أن الذي شيدها الأتراك عندما كانوا يشرفون على السوق أيام حكم الدولة العثمانية .

وحدثاً تاريخياً هاماً في بلاد المجرادة وما حولها في بداية السبعينيات من القرن الرابع عشر الهجري، ثم أصبح الوضع مختلفاً في آخر التسعينيات من القرن نفسه، وبعد عهد الطفرة المالية التي حدثت في عصر الملك خالد بن عبد العزيز (١٣٩٦-١٤٠٢هـ/١٩٧٦-١٩٨٢م) بداية التنمية الحضارية في جميع المجالات، إلا أن عهد الملك فهد بن عبد العزيز يعتبر عهد التنمية الحديثة، وواصل مشوار التنمية الملك عبد الله بن عبد العزيز، ثم الملك سلمان بن عبد العزيز، فتطورت الصناعات، وكثرت وسائل المواصلات وتحولت الطرق في المجرادة من ترابية إلى طرق معبدة، واهتمت المواصلات بسفلة الطرق الطويلة التي تربط بين المحافظات، وقامت البلدية بما يخصها من سفلة الشوارع داخل المحافظة والمراكز التابعة لها واهتمت بأرصفتها، وإنارتها وأصبحت الشوارع نموذجاً حضارياً يشهد على تقدم وتطور هذه البلاد، وتنوعت السيارات من سيارات النقل الخاصة إلى سيارات النقل العامة والشاحنات والقاطرات الكبيرة التي تستخدم في نقل البضائع من جميع أنحاء المملكة العربية السعودية. ووجدت سيارات نقل الركاب مثل: السيارات الصغيرة العائلية، أو الحافلات الكبيرة التي تستخدم في نقل الطلاب، وعمال الشركات^(١)، وأصبح اقتناء السيارة أمراً طبيعياً بين أبناء محافظة المجرادة بل في جميع أنحاء المملكة، وما ذلك إلا دليل على تطور المعيشة، وزيادة رؤوس الأموال بيد الخاصة والعامة فلا تكاد ترى بيتاً من البيوت إلا فيه ما لا يقل عن سيارتين أو أكثر بموديلات مختلفة. وبهذه المكتسبات أصبح المواطن في هذا العصر يعيش في رفاهية لم يعيشها الآباء والأجداد^(٢).

خامساً : أهم التعاملات التجارية :

١. المقايضة .

المقايضة تعني تبادل الناس للأشياء والحاجات والسلع والمنافع فيما بينهم دون استخدام النقد. حيث تعطى السلعة مقابل سلعة أخرى موازية لها بالقيمة^(٣)، وليس بالضرورة أن تكون مشابهة أو من الصنف والنوع نفسه وذكر ذلك ابن جبير في مشاهدته للتجار من أهل اليمن ونجران والسروات، ولا يختلف عنهم أهل تهامة في تعاملاتهم التجارية باستخدام وسيلة المقايضة^(٤)، وتحتاج المقايضة إلى وجود طرفين في العملية أو أكثر^(٥)، وكان مرتادو أسواق بلاد بني شهر (تهامة وسراة)^(٦) يستخدمون المقايضة

(١) مشاهدات يومية لهذه الوسائل في بلاد المجرادة والمراكز التابعة لها .

(٢) هذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ المواصلات في منطقة عسير خلال القرنين (١٥٠٤هـ/١٩٠٩م)، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٣) عسير قبل الحرب العالمية الأولى، P.21

(٤) ابن جبير، محمد بن أحمد : رحلة ابن جبير . بيروت، دار صادر د . ت، ص ١١٠، ١١١ .

(٥) مجموعة من الأساتذة : موجز القاموس الاقتصادي، دمشق، دار الجماهير ١٩٧٢م ص ٤٥ .

(٦) الوحيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر . ص ٢٧٩ .

للحصول على ما يريدونه من الحاجات الضرورية، وبخاصة في ظل عدم وجود العملة بشكل كبير نتيجة للحركات والصراعات السياسية التي مرت بها معظم مناطق شبه الجزيرة العربية حتى عهد الاستقرار السعودي.^(١) والمقايضة أو التبادل العيني تلبى حاجات المجتمع البدائي، فأهل الأرياف المحيطون ببلدة المجاردة يذهبون عادة إلى السوق الأسبوعي سواء داخل البلدة أو خارجها، وينقلون منتجاتهم الزراعية ليبادلوها مع منتجات أهل البادية أو الحرفيين. وكانت المقايضة تأخذ شكلاً معادلاً للسلعة مع سلعة أخرى مثل (كيس قمح مقابل خروف، أو دجاجة مقابل فأس وهكذا). ولم يستخدم الناس النقود إلا في مرحلة متطورة في عهد المملكة العربية السعودية عندما بدأت المعادن الثمينة (الذهب والفضة) بالتدفق إلى الأسواق العالمية؛ وذلك مما ساعد على توفر النقد على نطاق واسع في عمليات التبادل التجاري، وبدأت المقايضة تختفي محلياً لتحل محلها أنماط متطورة من التبادل . وإذا كانت المقايضة قد تضاءل شأنها بين الأفراد في معاملاتهم الداخلية في بلدانهم فإنه قد عظم شأنها وازداد في الوقت الحاضر في ميدان التجارة الخارجية، وذلك أن المصالح الاقتصادية العامة أصبح لها شأن كبير، فكل دولة تحرص على إقامة نوع من التوازن بين ما يستورد وما يصدر كي لا يزداد الاستيراد على التصدير وتغرق البلاد في العجز والضعف الاقتصادي، ولهذا أصبح كثير من الدول لا تسمح بدخول البضائع الأجنبية إلى بلادها إلا على سبيل المقايضة وتسديد ثمن تلك البضائع ببضائع أخرى من الإنتاج الوطني.^(٢)

٢. العملات :

تعامل الناس قبل تأسيس المملكة العربية السعودية ببعض العملات مثل: الريال الفرنسية، وهو نمساوي الإصدار^(٣)، وكان يستخدم في مناطق عديدة بما فيها المجاردة، إضافة إلى الريال الفضي العثماني الذي يعرف بـ (الريال المجيدي) كما وجدت العديد من العملات النحاسية مثل: الريال العثماني، الذي ينقسم إلى القرش، والبارة، أو ما يعرف بالبرزة^(٤). وبعد توحيد المملكة أمر الملك عبد العزيز بسك النقود من فئات القرش، ونصف القرش، وربع القرش، وهي خليط من النحاس والنيكل، تحمل اسمه ولقب دولته على الوجه الأول (عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد)

(١) دراسة الصراعات القبلية في جنوبي المملكة العربية السعودية من الموضوعات التي لم تدرس بشكل علمي، مع العلم أن هناك وثائق ومصادر غير منشورة تكفي لصدور عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٢) موجز القاموس الاقتصادي : مرجع سابق، ص ٤٥ : الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٢٨٠ .

(٣) حكيمي، حسين محمد : مقال نشر في عام (١٤٢٨هـ) . العدد الخاص رقم " ١ " عن اليوم الوطني قبل إصدار العملة السعودية الجديدة، بتاريخ ١/٨/١٤٢٨هـ، في مجلة اليوم الوطني الصادرة من كلية الملك عبد العزيز . وللمزيد انظر، غيثان بن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، ط٢، ص ١٦٤، للمؤلف نفسه، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) ص ١٨١ وما بعدها .

(٤) المراجع نفسها .

وعلى الوجه الآخر قيمة القطعة النقدية وتاريخ سكها^(١)، ثم تطورت العملة ووضعت عليها النقوش والزخارف مثل السيوف والنخلة وغيرت الطباعات عليها والمسميات تباعاً لتوحيد البلاد . وتطابقت في وزنها مع الريال الفرنسية، وكان يطلق عليها اسم الريال العربي^(٢)، واستمرت العملة النحاسية إلى أن تم تأسيس مؤسسة النقد العربي السعودي في عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ثم طبعت أول ورقة نقدية على هيئة إيصال سمي بإيصال الحجاج في عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) وهي فئة عشرة ريالاً ثم أضيفت لها فئة الخمسة ريالاً، ثم أضيف طباعة إيصال بقيمة ريال واحد، على إحدى أوجهها بعدة لغات هي: العربية، والإنجليزية، والفارسية، والأوردية، والتركية، والملاوية . وعلى الوجه الآخر تعهد من مؤسسة النقد بقيمته^(٣)، ثم ظهر أول إصدار نقدي ورقي رسمي للمملكة العربية السعودية وتم طرحه في الأسواق في عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) بخمس فئات هي فئة المائة ريال، وفئة الخمسين، وفئة العشرة ريالاً، وفئة الخمسة ريالاً، وفئة الريال الواحد، وذلك في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، ثم توالى الإصدارات النقدية الورقية لنفس الفئات السابقة في عهد الملكين فيصل بن عبد العزيز، وخالد بن عبد العزيز، وفي عهد الملك فهد بن عبد العزيز تم إضافة فئة الخمسمائة ريال إلى الفئات السابقة، مع التغيير في الصور التي تحتويها جميع العملات لتحاكي التوجه الديني والتطور الحضاري للمملكة، وبمناسبة مرور مائة عام على توحيد البلاد تم إضافة فئة المئتي ريال، والعشرين ريالاً إلى الفئات السابقة . واستمر طرح هذه الفئات في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز ما عدا فئتي المائتين والعشرين فإنها لم تصدر في الإصدارات الجديدة مع أن بعضها ما زال الناس يتداولونه إلى وقتنا الحاضر . وأما بالنسبة للعملة المعدنية فقد حرص ملوك المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها إلى وقتنا الحاضر أن تكون ملازمة للعملة النقدية الورقية، ففي عهد الملك سعود تم سك عملة الريال ونصف الريال وربع الريال، كما سكت من النيكل أربعة قروش، وقرشان، وقرش، وسك الجنيه الذهبي الذي عرف بجنيه الملك سعود وهو على غرار جنيه الملك عبد العزيز، ولما أدخل النظام العشري على العملة السعودية سك النقود بفئة الهللات، ثم اختفت قيمة الهللة من العملة في عهد الملك فيصل وأصبح يكتب على العملة المعدنية قيمة الريال، ونصف الريال، وربع الريال، والقرش، وفي عهد الملك خالد تم إعادة سك العملات المعدنية من فئة الريال المائة هللة، نصف الريال خمسون هللة، وربع الريال خمس وعشرون هللة، وقرشان عشر هللات، وقرش خمس هللات . وهللة واحدة، وفي عهد الملك فهد وبالتحديد في عام (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) أعيد سك العملة المعدنية بفئة ريال واحد مائة هللة، ونصف ريال خمسون هللة، وربع ريال خمس وعشرون هللة، وقرشان عشر هللات،

(١) العميري : الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٢٨١ .

(٢) ما ذكره العم علي حسن، و سعيد بن راجح وأخوه علي بن راجح من سكان المجاردة .

(٣) حكيم، حسين محمد، نفس المقال السابق، ص ٨٧ .

وقرش خمس هللات . ثم تم في عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) سك فئة الواحد ريال، وفي عهد الملك عبد الله استمرت هذه العملة النقدية ولا تزال إلى وقتنا الحاضر^(١) .

٣. البيع بالأجل :

يعتبر البيع بالأجل إحدى الطرق التي عرفت في الأسواق الشعبية، أو اليومية في وقتنا الحاضر سواءً في تهامة بني شهر أو في شتى مناطق المملكة العربية السعودية . حيث كان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيعها ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع إذا لم يملك المال الكافي للشراء نقداً^(٢) . وقد حدثني والدي بأن التجار كانوا يشترون البضائع من أصحاب أسواق الجملة بالتسيط ويتم تحديد موعد محدد بين الطرفين من أجل استلام البضاعة الجديدة وتسديد الأقساط المتأخرة من ثمن البضائع القديمة . وهذا ما نراه واضحاً وجلياً في الأسواق اليومية في وقتنا الحاضر وعلى جميع مستوى السلع المختلفة، فيقوم أصحاب المحلات والدكاكين في المجاردة بشراء البضائع من أسواق الجملة سواءً في جدة أو في خميس مشيط أو أي جهة أخرى في المملكة العربية السعودية بالأجل على أن يتم التسديد في حالة البيع وحصول الفائدة . كما أننا أيضاً نرى ذلك في التسويق للشركات التي تعمل في بيع الأجهزة الكهربائية، أو قطع غيار السيارات، بحيث يقوم التاجر بتمثيل إحدى الشركات لكي يكون وكيلها المعتمد في المحافظة وما جاورها، وهي بدورها تعمل على تأثيث المحل بكامل منتجاتها في حين يقوم الوكيل ببيع هذه المنتجات للزبون وفي حالة تعثر البيع فإن الشركة مسؤولة عن استرجاع هذه السلع^(٣) .

٤. المكاييل والموازين والمقاييس :

عرفت الأسواق الشعبية في تهامة بني شهر منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض وحدات الكيل للحبوب وغيرها مثل المد والصاع، والفرق^(٤) والقدرح، والكيلة وتصنع هذه المكاييل من الخشب^(٥) . وتختلف في أحجامها حيث أن الصاع يساوي أربعة أمداد ويوجد نصفه، وربعه، وثمانه، بينما يساوي الفرق وهو ما عون خشبي أسطواني أو مستطيل

- (١) المرجع نفسه، ص ٨ . الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٢٨١ .
- (٢) ابن جريس، غيثان علي: نجران دراسة تاريخية حضارية (ق.١ق.٤هـ/ق.٧ق.١م)، ج١، ط٢ (الرياض مطابع الحميضي ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٢٨٥ .
- (٣) لقاءات متعددة من الباحث مع عدد من البائعين في أسواق الأقمشة، والجوالات، والأدوات والأجهزة الكهربائية ببلاد المجاردة.
- (٤) ابن جريس، غيثان علي: القول المكتوب في تاريخ الجنوب عسير أنموذجاً . ط١، الرياض: مطابع العبيكان (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، (الجزء الأول)، ص ١٧٧ . للمؤلف نفسه: عسير (١١٠٠.١٤٠٠هـ)، ص ١٨٧ وما بعدها .
- (٥) عسير قبل الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص ٢٤ . الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٢٨١ .

الشكل ومخرم من الخارج بأطر من الحديد (١٢) كيلة أي حوالي ستة عشر مداً^(١). والكيلة تساوي (٤) أقق بينما المد يساوي (٢) أقق^(٢)، بينما يعتبر القدر وحدة تساوي ثمن الكيلة. أما أهم الموازين التي تستخدم في وزن السوائل مثل السمن، والعطورات والبخور، والتوابل وغيرها من المواد الغذائية فهي الأوقية، والرطل (وهو يساوي (٣٢) أوقية)، والكيلو جرام. وهذه الموازين مازالت تستخدم إلى وقتنا الحاضر وهي عادة ما تكون في دكاكين المحامص والمطاحن الحديثة^(٣). ويذكر لنا كبار السن أن بعض السلع تباع بالجملة دون كيل أو وزن وإنما توضع على هيئة أكوام ثم تقدر أسعارها بمجرد النظر إليها. ومن بعض أدوات قياس الأقمشة والألبسة في الأسواق الشعبية قديماً الذراع، والشبر، والقامة (أي قامة الرجل)، والهنداسة وتساوي حوالي (٩٠سم)^(٤). ثم حل المتر والكيلومتر ومشتقاته مكان هذه المقاييس في الوقت الحاضر^(٥).

سادساً : صور من الأدوار الحضارية لأسواق المجاردة :

١- دور الأسواق الأسبوعية :

قامت الأسواق الشعبية عبر تاريخها بأدوار مهمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم يقتصر دورها على البيع والشراء وإنما كان لها عدة وظائف ومهام فهي تعتبر من أهم الأماكن لنقل الأخبار ومعرفة المستجدات المحلية والإقليمية والعالمية فهي بمنزلة مركز إعلامي وذلك في ظل غياب أو عدم وجود وسائل الإعلام المختلفة وصعوبة التنقل عبر وسائل النقل التقليدية، وكان السوق هو المكان الوحيد الذي يمكن من خلاله معرفة الأخبار فهو بمنزلة المنبر الإعلامي المتحرك الذي ينقل أخبار الناس من مكان إلى آخر في جميع المجالات المتعددة.

وبعد عودة المتسوق إلى قريته يكون قد جمع الكم الهائل من الأخبار العامة بالإضافة إلى أخبار السوق ليرويها لأهل القرية، كما أن السوق الأسبوعي يعد من أكبر فرص الالتقاء بين الأهالي والاجتماع بين أفراد القبيلة الواحدة أو الالتقاء بأفراد قبيلة أخرى ومناقشة بعض القضايا التي تهمهم عامة. كما لعبت الأسواق دوراً عظيماً في الوعظ والإرشاد فبعض الأشخاص من أهل العلم والمعرفة يستغلون تجمع الناس من

(١) ابن جريس، غيثان بن علي : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة، وعسير، ونجران)، ج٧، ط١ (الرياض:

مطابع الحميضي ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٢٦٦، ٢٥٦. للمؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ١٦٥.

(٢) الأقق : جمع أقة وهي قطعة مصنوعة من الحديد وعرف منها الأقة الواحدة، ونصف الأقة، وربع الأقة.

(٣) القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٧، ص ٢٥٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٥٨.

(٥) الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ص ٢٨٢.

شتى البقاع في يوم السوق الأسبوعي ويقومون بإلقاء بعض كلمات الوعظ والإرشاد والتنبية على المخالفات الشرعية، وعندما تم توحيد المملكة العربية السعودية وفي ظل عدم وجود الوسائل الحديثة للإعلام المرئي والمسموع، كان السوق مكانا لنشر البيانات، والأوامر، والإعلانات، من الدوائر الحكومية وتعليماتها ومن خلالها يتم تنفيذ الأحكام الشرعية ليكون أكثر دقا ووقعا لمن يشاهدها. والأسواق من أهم الأماكن التي يتم فيها التحاكم بين القبائل فيما يحدث بينهم من نزاعات وخلافات حيث يقام فيها الصلح بين الخصوم، ومن خلالها تعقد القبائل فيها الأحلاف والاتفاقيات فيما بينها من أجل التعاون في شتى شؤون الحياة^(١). ويذكر أحد الرواة ما رآه في بعض أسواق المجاردة فيقول: "أنه كان في جزء من السوق مكان مرتفع يسمى الراية يجلس عليها شيخ السوق لمتابعة حركة البيع والشراء ومراقبة السوق من الاعتداءات والفصل بين المتسوقين أثناء البيع والشراء"^(٢)، وعلى الرغم من التطور الحضاري الذي تعيشه البلاد في كافة جوانب الحياة ومن بينها انتشار المجمعات والمراكز التجارية الكبيرة، إلا أن الأسواق الأسبوعية القديمة مازالت تحتفظ بجاذبية كبيرة لكثير من الناس لأنها تتميز بنكهة وروح الماضي القديم الذي اتسم أهله بالبساطة والتسامح فيما بينهم سواء في عمليات البيع والشراء أو في فك النزاعات، أو نقل الأخبار، والاستماع للنصح والإرشاد، وتنفيذ القرارات الإدارية، ونقلها إلى القرى وإظهار الولاء والانتماء لولاة الأمر. لكنها لم تعد بتلك القوة السابقة حيث كانت تكتظ بالمتسوقين الذين يفدون إليها من أماكن بعيدة، وأخذت تفقد الشيء الكثير من رونقها وطبيعتها العتيقة بسبب كثرة الأسواق الحديثة وبخاصة التي أصبحت تفتح أبوابها ليلا ونهارا، لكن هذه الأسواق القديمة مازالت تعني الشيء الكثير عند كثير من الناس وبخاصة كبار السن^(٣).

٢. دور الأسواق اليومية :

مثما كان للأسواق الشعبية دور في المجال الثقافي والفكري والاجتماعي، فالأسواق اليومية في الوقت الحالي تقوم بنفس الدور وفي اتجاهات متعددة سلبية وإيجابية. فمن أدوارها الإيجابية: أنها مقصد لمكاتب الدعوة لتوزيع المنشورات الدينية، للإعلان عن النشاطات الدعوية المختلفة من محاضرات، أو دروس علمية. وتستغلها تلك المكاتب في حث الناس على التبرع لدعم مشاريعها المختلفة عبر توزيع نماذج تحثهم على الصدقة مثل نماذج كفالة الأيتام، أو تشجيع حفظ القرآن أو غيرها من الأعمال التي تعود على المتسوقين بالأجر والثوبة. وتلاقي هذه الأعمال قبولا كبيرا عند مرتادي الأسواق. وتعليق

(١) صحيفة خاط الإلكترونية مقال نشر في تاريخ (٢٢/٧/١٤٢٠هـ) العدد (٢٢٢).

(٢) مقابلة مع العم علي بن حسين، سبق ذكره.

(٣) صحيفة خاط الإلكترونية العدد السابق.

بعض الأدعية المأثورة من أجل حث الناس على الذكر. وانتشرت الكثير من المحلات التي تقوم ببيع المواد الدينية كالكتب، والأشرطة، بجميع أهدافها واختصاصاتها ويقصدها الكثير ممن يرغب طلب العلم والمعرفة. كالحث على العطف على الفقراء، ومساعدتهم في قضاء حوائجهم، ومواساتهم، وللأسواق أدوار اجتماعية، وتقبل الأسواق أبوابها في أوقات الصلاة وهذه رسالة مقتضاها أن ما عند الله خير وأبقى. وللأسواق دور في نقل الأخبار السياسية، والاجتماعية، وفيها فرصة لإظهار الاحتفاء بالمناسبات الوطنية، أو الأعياد الإسلامية، وفي الأسواق اليومية إحياء لروح التنافس التجاري بين أصحاب المحلات، وتثقيف للعامية في مجال التجارة، والحث على التعامل بالصدق والأمانة بين البائع والمشتري. ولا تخلو هذه الأسواق من بعض الجوانب السلبية مثل: بيع بعض السلع التي تخالف الشرع كالملابس الضيقة والشفافة والقصيرة، ومن ثم اضطراب الناس لشرائها لاقتصار كثير من المحلات على جلبها مواكبة لموضة العصر، كما يوجد بعض المضايقات من بعض الشباب لكثير من الفتيات والنساء في الأسواق، وكذلك عمل المرأة إلى جانب الرجل في بعض المحلات التجارية والتي تصل إلى وجود خلوة غير شرعية^(١).

سابعاً : رأي وتعليق^(٢) :

هذا البحث محاولة من طالب مجتهد، ولا نقول إنها دراسة وافية في تحليلها وتفصيلاتها، لكنها بدون شك دراسة جديدة. ونأمل من صاحب هذه الدراسة أو من أي باحث جاد آخر أن يدرس الحياة الاقتصادية في تهامة عسير الممتدة من درب بني شعبة إلى محافظة المجاردة، وإن اقتصرنا دراسة هذا الموضوع على تهامة بني شهر وما جاورها فذلك أفضل. ونقول إن البلدات التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدينة جازان لم تدرس بشكل جيد على مر التاريخ، مع أنها بلدان مأهولة بالسكان، وتشتمل على الكثير من الموارد الاقتصادية المختلفة، ثم إن موقعها جيد فهي تمتد من سفوح جبال السروات الغربية إلى ساحل البحر الأحمر الشرقي ومن حاضرة مكة المكرمة في الشمال إلى جازان وبعض حواضر اليمن الرئيسية في الجنوب. والأمل معقود. بإذن الله تعالى. في أبنائنا وبناتنا من طلاب الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيدرسوا هذه المناطق التهامية الغنية بتاريخها وموروثها الحضاري.

(١) هذه المظاهر موجودة وليست منتشرة بشكل كبير في أسواق المناطق الصغيرة ومن بينها بلاد المجاردة كغيرها من المناطق والمدن الكبيرة بالمملكة، ويعود السبب إلى أن أكثر سكان تلك المناطق هم أهلها الأصليون الذين مازالوا متمسكين بكثير من العادات القبلية التي سار عليها الآباء والأجداد، أما المدن فهي خليط من الأجناس البشرية والثقافات المختلفة (ابن جريس).

(٢) هذا العنصر من إعداد صاحب الكتاب (ابن جريس).